حول جامعاتنا العلمية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم رئيس التحرير

إن جامعاتنا العلمية الكثيرة تدفع كل عام بالكثير من المتخرجين على مختلف مستوياتهم العلمية والادبية الى معترك الحياة ، إلا أن الملاحظ في هذه الجامعات عدم وجود التخطيط العلمي لديها في دفع هذه الموجات المتتابعة كل عام إلى معترك الحياة ، كما أن هناك عدم ترابط بين هذه الجامعات ، وعدم تعاون على وضع المخططات العلمية المدروسة ، ولهذا نرى أن هناك كثيراً من المتخرجين تعوزهم الثقافة العامة ، والوعي الجامعي المطلوب ، الامر الذي يؤدي بهم إلى الاصطدام بواقع الحياة،كما أن هناك الكثير الكثير من المتخرجين لا يجدون لهم سبيلاً إلى العمل حسب تخصصاتهم العلمية والادبية ، ولهذا تراهم يضيعون في متاهات الحياة ، ويفقدون شيئاً فشيئاً ما اختزنوه في عقولهم وافكارهم مما اكتسبوه من علم ومعرفة نظرية ، واذا ما علمنا أن المؤهل الجامعي ما هو الا خطوة أولى في طريق الحياة ، أدركنا قيمة التطبيق الفعلي لهذا المؤهل ، فالمؤهل الذي لا يخول صاحبه الدخول في تطبيق مؤهلاته النظرية يضيع في الهواء ، ويفقد قيمته ، لاسيما عند مؤهلينا الذين تقذف بهم الجامعات العربية ، وترمي بهم في الطرقات دون تخطيط علمي مدروس ، والمؤهلات التي يحملها اكثر خريجي جامعاتنا يعوزها الثقافة العامة ، والثقافة العامة هي اساس الوعي والادراك،

فبدونهـا يصبح المرء في مجتمعه بعيداً عن مشاكله ، واذا اصبح بعيداً عن مشاكله أصبح عاجزاً عن حل هذه المشاكل .

ان كل جامعة من جامعاتنا العربية الكثيرة المتعددة بعيدة كل البعد عن بعضها البعض ، وليس هناك تعاون بينها ولا تنـاسق ، وكان الاجدر بالقيمـين عليها أن يشكلوا مجلسـاً أعلى يضع الدراسـات العميقة ، والمخططات الواسعة ، بالنسبة لما يجب أن تسير عليه في برامجهـا ، وفي مستوى هذه البرامـج ، وكذلك بالنسبة لما يجب أن يكون عليه نوع الخريجين منهـا ، وتخصصاتهم العلمية والادبية ، وحـاجة البلاد العربية لمثل هذه التخصصات على اختلافها ، حتى لا يكون هناك تخبط في كل جامعة ، وتضارب في مناهجها العلمية ، بل نرى ونؤكـد أن على المجلس الاعلى للجـامعات العربية أن يضع حداً لهذه الوفود من الطلاب والطالبات المهرولة إلى جامعات الغرب ، دون استعداد قـومي ووطني ، بل وعلمي ، الأمر الذي يؤدي بالتـالي الى عكس الغرض المطلوب منها ، اذ سرعان ما تذوب هذه الوفود في تلك المجتمعات الغربية ، وتتأثر بظواهر الامور فيهـا ، وتعود بالتالي الى بلادها معزولة عنها قوميـاً ووطنيـاً واجتماعياً ، ذلك لانها بعثت الى الخارج دون استعداد لمجابهة الحياة هناك ، ودون التزود بزاد الوعي اللازم لها ، إذ كثيراً ما تصـبح هذه الوفود العـائدة إلى بلادهـا وبالا عليها ، ناقمة على ما تراه من فـروق اجتماعية بين بيئتها الاصلية في بلادهـا والبلاد التي تعلمت فيها وتأقلمت بحياتها التي تختلف اختلافاً بيناً في عاداتها وتقاليدها ، فتشـكل طابوراً خامساً ضد أماني أمتها ووطنها ، ذلك أن جامعات الغرب ، أو الجامعات الاجنبية على وجه العموم ، لا تنشيء جيلاً عربياً يتحسس مشـاكل أمته ، ويهتم بتراثها ، ويدرس مقومـاتها ، ويتعمق تاريخها ، ويحاول ان يجد الحلول الجذرية لحل مشاكلها . ولهذا نرى ان على المجلس الاعلى للجامعات العربية الذي يجب انشـاؤه ، أن يختار أولئك المحصنين من ابناء وطننـا العربي ليدفع بهم آمنـاً مطمئناً الى الخارج ، يختارهم ويختار الواعين منهم الذين وعـوا تراثهم القومي ، وفهموا تاريخ امتهم ، وآمنوا ايمانـا راسخا بان وطنهم يبعثهم الى الخارج ليتسلحوا بسلاح الوعي والعلم ، وليفتشوا عن السبل الناجعـة لحل مشـاكل وطنهم وامتهم ، وليعودوا اكثر وعياً وادراكاً لمجابهة الحيـاة التي تحياها امتهم ، وان المجلس الاعلى للجامعات العربية هو الذي يجب عليه ان ينظر الى النتـائج السيئة التي وصلت بالامور في البلاد العربية الى مثل هذا التمزق والتذبذب والضياع ، والتخلخـل الفكري ، نتيجة التخبط الذي تسير عليه جامعاتنـا في برامجها ، اذ ان كل جامعة من هذه الجامعات تسـير وحدهـا دون تعاون تـام مع الجامعات الاخرى ، وبعض هذه الجامعات تعتقد ان قيمة التقدم ، ومستوى الحضارة في كثرة المتخرجين ، وفي كثرة الشهادات التي يحملونها ، وفي مستوى هذه الشهادات الاسمية ، دون النظر الى قيمتها العلمية اولا ، ونوعية ذلك الذي يحملها ومستواه الثقـافي ، ووعيـه وادراكه .

ان الذين يعودون الى بلادهم في مختلف البـلاد العربية من خريجي جامعات الغرب نجد ان اكثرهم يعود وقد تأقلم بالبيئة التي تلقى فيها علومه ، والسبب يعود الى انه ذهب الى الغرب دون اعداد ، ودون فـهم لتاريخه وتراثه ، وقيمة هذا التراث والتاريخ . ولقـد صدمنـا حقـاً من البعض العائد وكأنه رسول أو مبشر بالمبادىء التي تأثر بهـا ، وصبغته بصبغتهـا ، صدمنا حقـاً عندما رأيناه ينادي بمثل ومبادىء لا تتفق ومبادئنا ومثلنـا ، بل انها هدم لمبادئنا ، واساءة لمثلنا ، وضرر يصيبنا منه الشيء الكثير ، وهذا البعض العائد الينـا من الخارج ليس على مستوى سواء ، اذ ان كلا منهم يدعو للمبادىء التي تأثر بهـا ، وتشبعتها افكاره ، وآمن بها ايمانـاً قوياً يصعب التأثير عليه ، ولهذا ترى أن البلاد العربية تعج اليوم بالكثير من المبادىء التي يختلف بعضها عن بعض ، الامر الذي ادى بالتالي الى هذا الاضطراب الفكري ، وهذا التناقض بالآراء والمبادىء ، حتى اصـبح الفكر العربي في تخبط وفي تذبذب وفي اضطراب ، وهذا المصير في مثل هذا الضياع الفكري كما نعتقـد بسببه هذه الوفود التي قذف بها الى الخارج ، دون استعداد قومي ووطني ، فعادت تدعو لما تأثرت به من مبادىء وعادات على اختلافهـا وتناقضها حتى سببت هذا التخبط الفكري الذي يكاد يفتك بالامة العربية ويمزقهـا شر ممزق . كما ان اولئك الذين يتصيـدون بالمياه العكرة ، تلقفوا البعض من شـبابنا الذين لم يتحصنوا بسلاح الوعي القومي ، ولم يدركوا حقيقـة تراثهم وتاريخهم وحضارتهم ، تلقفوهم وراحوا يؤثرون عليهم للمساعدة على تشتيت الرأي ، وتمزيق وحـدة الفكر ، وتأصيل بذور التفرقة عن طـريق المبـادىء المختلفة الوضعية ، وهؤلاء بعضهم عملاء حقاً ، لكنهم من الاذكيـاء الذين يعرفون كيف يخدمون اسيادهم الـذين يسيّرونهم ، ويعملون على تضليل شبابنا بمختلف المبادىء والآراء التي لا تتفق ومبادئنـا وآراءنا ، وبعضهم من الشعوبيين الذين لا تربطنـا بهم أي رابطة من التاريخ ، والحضـارة ، والشعور القومي ، ولا يريـدون ان يندمجوا بتراث الوطن الذي عاشوا فيه سنين طويلة ، ولا يحاولون أن يتأثروا بالحضـارة العربية وبالمثل والمبادىء السامية لهذه الحضارة ، فهم أبداً حاقـدون على حضارتنا ، وعلى تراثنـا ، وعلى لغتنا أيضاً ، وان كانوا يتكلمون بها ، ويعرضون بالاديان أيضاً ، ليركزوا

على الدين الاسلامي الحنيف الذي يدين به معظم ابنـــاء امتنـــا العربية ، فهؤلاء الشعوبيون، واولئك العملاء وسعوا الهوة ، وزادوا في التضليل وفي الضياع بين ابناء امتنـــا العربية ، والغريب ان هؤلاء واولئك اتبعـــوا تخطيطات ووسائل متناقضة مختلفة ، لكن هدفهاواحد، وهو التذبذب والاختلاف والضياع .

اذا كان بعض هؤلاء العـــائدين من ابنائنا من الجامعات الاجنبية ، يعودون الينا بمثل هذه التناقضات، وبمثل هذه المبادىء المختلفة ، فما بالك بالشباب الطري الذي ندفـــع به الى الخارج ولم يصل بعد الى عتبـــة الجامعة ؟ بل ان البعض لم يصل الى مستوى الدراسة الثانوية ، ندفـــع بهؤلاء الشباب الى الخـــارج دون حصانة ودون تطعيم، بل انهم لم يصلوا الى حد الحصانة والتطعيم ، فكل بلد عربي يباهي البلد الاخر بكثرة ابنائه الذين يقذف بهم الى الخارج لتلقي العلم والمعرفة ، ويتم ارســـال الوفود المختلفة من البلاد العربية الى البـــلاد الاجنبية دون حصانة ودون اختيار ، فتكون النتيجة وبالا علينـــا ، لكن ترى أتستطيع جامعاتنـــا العربيـــة ان تنتبـــه الى مثل هذه الاخطار التي تحيق بها ، وهل تعي دورها في خدمة الجيل العربي ، وهل تتحرك وتثور على هذه الاوضـــاع السيئة التي تتخبط فيها البلاد العربية ؟ وهل تستطيع ان تضـــع حدا لهذه الفوضى في ارســـال البعثـــات الى الخارج دون استعداد ، ودون اختيار ؟ لا شـــك ان الجامعات العربية تستطيع ان تعمـــل الكثير الكثير ، اذا جدت ، واذا خلصت نيات القيمين عليهـــا ، ووحدت رأيها ، وقـــام المخلصون فيها بتشكيل اتحاد لهم ، وقـــام هذا الاتحاد باختيار مجلس اعلى وعلى اعلى مستوى ليكون له الرأي الحر ، والكلمة المسموعة في اختيار المبعوثين من الخريجين الى الخارج لنيل الشهادات العليـــا ، ولا شـــك ان هذا الاختيـــار سينصب على مدى الفائدة المرجوة منه ، وسيسير على مخطط مدروس ، وستكون الفـــائدة مزدوجة بلا شـــك من هذا الاختيار ، ففي الخارج سيكون هؤلاء الخريجون دعـــاية طيبة لبلادهم ، وعنواناً بارزاً لمثل امتهم ، وفي الداخل يوم عودتهم الى بلادهم سيكونون دعماً واي دعم لنهضتها ودفعها الى التقدم والازدهار بفضل مـــا تلقوه من علوم وفنون وآداب عالية ، وبفضل الوعي والتفتـــح الذي تلقوا به هذه الاداب والفنـــون والعلوم العـــالية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يستطيع هـــذا المجلس الاعلى ان يقدم المشـــورة والرأي بالنســـبة للمستويات التي تقل عن مستوى الجـــامعة ، وقد يحق له أن يطـــلب منع أي بعثة الى الخـــارج يقل مستواهـــا عن مســـتوى الجـــامعة اذا كانـــت هذه البعثة لا تتمتع بمستوى كاف من الوعي القـــومي ، والادراك التام لتراثها وحضارتها ، بل يحق له ان يطلب قفل البـــاب امام الشباب الغض الطـــري ومنعه من الذهاب الى المدارس والكليات الاجنبية ، ولا سيمـــا الاوروبية والامريكية ، اذ يكفي هذه الامة ما تعانيه من ضـــياع وفوضى من جراء التخبط الذي كانت تســـير عليه في ارسال البعثـــات الى الخارج على غير هدى، وبدون تخطيط علمي مدروس ، ويكفيها أيضاً هذه النتائج السيئة التي ادت الى هذا الحال من التمزق والتشتـــت والتطاحن على المبادىء المستوردة المتناقضة .

ان الجامعات العربية عليها مسئولية عظيمة امـــام التاريخ ، وان القيمين عليها قادرون ان يتخطوا أي عقبة من العقبات التي تعترضهم في الثورة على الاوضاع السيئة التي تعيش فيها جامعاتهم ، من فرقة وعدم اتفاق، اذ اننا نلاحظ ان كل جامعة من الجامعات العربية تسير على خط مناقض للخط الذي تسير عليه الجامعة الاخرى وهكذا ، وان الاجيال العربية القادمة ليست ملكاً لجامعة من الجامعات وانما هي مسئولية الجميع ، واذا لم يتحرك اساتذة الجامعات والقيمون عليها ويضعوا حداً لهـــذا الجمود ، وهذه الفوضى التي يتخبطون فيهـــا ، فمن ترى يتحرك لانقـــاذ اجيالنا القادمة ؟ هل ينتظرون من ينبههم من غفلتهم ، ومن يوقظهم من هذا النوم العميق الذي يغطون فيه ؟ وهم من هم ، حملة العلم ، ورســـل المعرفة ، وطلائع الاجيال المتعلمة المثقفة ، ومن بيـــدهم مسئولية خلق جيل متعلم واع ، مدرك لتراثه وحضارته، ولمبادئه ومثله ؟ هل ينتظرون الضوء الاخضر من غيرهم ؟ وهل يعتقدون ان الحكومات ستقف أمامهم ، وتســـد السبل امام ثورتهم العلمية والثقافية ؟ واية ثورة هـــذه التي تخاف منها الحكومات ؟ وهل تخاف الحكومات ثورة علمية ثقـــافية ؟ وهل الاجيال العربية القادمة ملك لهذه الحكومات وحدهـــا ؟ وهل هذه الحكومات باقية لتتحكم في هذا الجيل وفي الاجيال القادمة ؟ ام انها تريد ان تبقي الاجيال القادمة ممزقة حـــائرة ضائعة ، كهذا الجيـــل الذي تتحكم فيه وتسيره على هواها وحسب اغراضها؟ وهل الحكومات العربية تعترض حقا على خلق جيل عربي، موحد الكلمة والهدف ؟ وهي التي تعاني ما تعاني من هذا التمزق ، وهذا الخلاف والفرقة والضياع؟ وهل الحكومات العربية ستقف حجر عثرة في سبيل ثورة ثقافية علمية يقودهـــا طلائع المثقفين وانواعين من القيمين عـــلى الجامعات العربية واساتذتها المخلصين ؟ وهل هـــؤلاء الطلائع الذين يريدون ان يجدوا في اصلاح الجامعـــات العربية، وتوحيد مناهجها واهدافها يمتنعون عن مواصلة السير وخوض معركة الثورة الثقافية والعلمية بمجـــرد ان الحكومات العربية قد تعترض سبيلهم ؟ اذاً فان هؤلاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القيمين الذين ننتظر على أيديهم تطوير جامعاتنا ، وتوحيد اهدافها ، لخلق جيل عربي سليم موحد الفكر والرأي ، مؤمن بحضارته وبتراثه ومثله العليا ، لا يجدر بهم أن يبقوا قيمين على جامعاتنا حتى لا يواصلوا مسيرتهم هذه التي أوصلتنا الى هذا المستوى من التأخر والتفكك ، وحتى لاتأتي أجيال مكررة معادة لا تعرف كيف تنهض بواجبات أمتها ووطنها ، أجيال متناقضة مختلفة الأهواء والآراء .

إن التردي الذي وصل إليه او كاد جيلنا الحاضر، تشترك في مسئوليته جامعاتنا العربية في مختلف أنحاء الوطن العربي ، لان الجامعات العربية هي التي تستطيع أن تربي وان تنشيء الجيل المتعلم المثقف الواعي ، لأنها تملك من الاسباب والوسائل ما لا يملكه غيرها ، ولانها على مستوى من الوعي والثقافة والعلم يؤهلها لتوحيد جهودها والعمل على خلق جيل عربي حي يستطيع ان يضع حداً للتأخر الذي تعانيه الامة ، والتمزق الذي يعاني منه الوطن ، كما ان الجامعات العربية قادرة على اتخاذ السبل الملائمة لاقناع الحكومات العربية ، ان كانت تعتقد ان هذه الحكومات لا ترضى عن توحيد الجهود ، ثم ان الحكومات التي تقف حجر عثرة في سبيل توحيد الجهود ، وفي سبيل العلم والمعرفة ، وفي سبيل خلق جيل عربي واع لا تستحق الاحترام، بل ان الجامعات العربية قادرة على تخطي مثل هذه العقبات التي قد تعترضها اذا ما صممت على الاصلاح ، وآمنت بمسؤوليتها ، ورسالتها الكبيرة .

ان وضع حد لفوضى البعوث العلمية الى الغرب يجب ان تضطلع به الجامعات العلمية العربية ، وان هذه الجامعات العربية عليها ان تكسر هذا الطوق الذي يعوق مسيرتها ، وتحمل مشعل الثورة الثقافية والعلمية ، وتتخطى اي عقبة تعترضها ، وتجتاز اي صعوبة من الصعوبات ، وتحطم اي قيد يقيدها عن الحركة والمسير الى الهدف الاسمى المنشود .

إن النكسات التي اصابت هذه الامة ، يجب ان تكون حافزاً قوياً على دفعها الى الثورة ، وجذور الاصلاح تكمن في الثورة الثقافية والعلمية ، والثورة الثقافية العلمية هي الاساس الصحيح والمتين لخلق جيل عربي واع يصحح الاخطاء ويضع حداً للفوضى الفكرية ، وغياب الرؤية الواضحة ، والتخبط الاعمى .
ومن أجدر بحمل هذه الامانة من المخلصين الواعين المهيمنين على جامعاتنا ومعاهدنا العلمية صانعة النشء الجديد ، وخالقة الجيل الصالح ؟

عبد الله زكريا الأنصاري

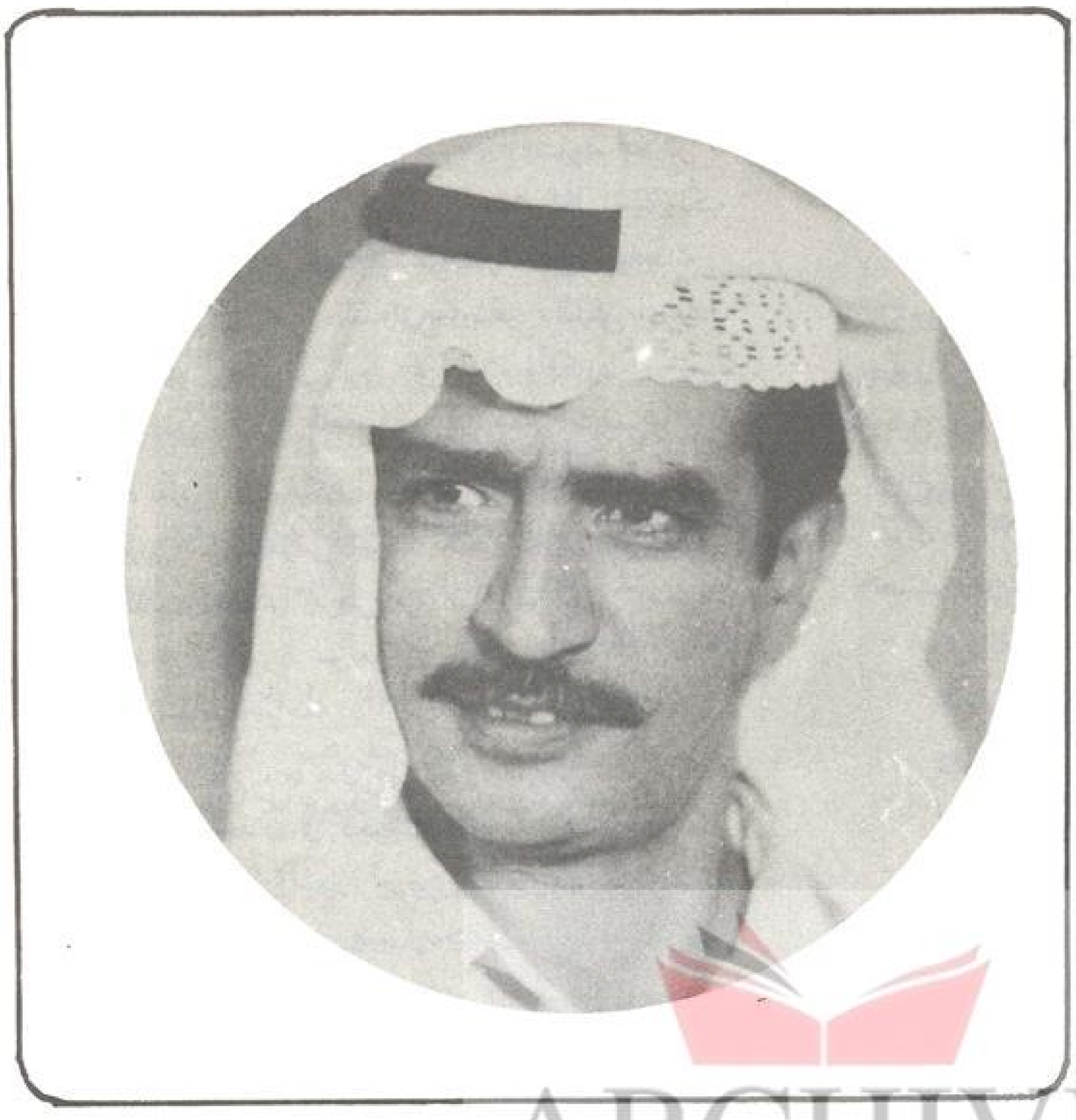
☆☆☆

من "البيان"
إلى أدباء العربية في كل مكان..

يسرنا أن نرعو المفكرين والادباء في كل اقطار العروبة ، الى اعتبار مجلة "البيان" مجلتهم، والصوت الناطق باسمهم ، المعبر عن فكرهم فالبيان : هي بمثابة المنبر الحي ، تتفاعل فوقه مختلف تيارات الفكر الحر النير، اسهاما منها في رقي أدبنا وازدهاره.

لذا ، فنحن نرحب بما يرونا من ادبائنا المياسير ونفخر به ..

"البيان"



٥

الشعر الكويتي الحديث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

محمد الفايز

والتوتر بين الذات والتاريخ ..

بقلم الدكتور / إبراهيم عبدالرحمن محمد

واذا كانت مأساة الانسان الكويتي والعربي المعاصر هي التي تشغل هؤلاء الشعراء وتحيل حياتهم الى غربة قاتلة . فان الماضي الكويتي بكل ما كان فيه من الفقر والمرض ، هو الموضوع الذي تدور حوله أشعار « الفايز » ، وهو الباعث على آلامه وأحزانه التي تزدحم بها قصائده ، فقد راح في عدد من القصائد نشرها بعنوان «مذكرات بحار» يرسم لوحات حزينة نابضة بالحياة لواقع المجتمع الكويتي القديم ، الذي فرضت عليه ظروفه الاقتصادية أن يدفع بأبنائه الى البحر بكل ما كان فيه من مخاطر ، بحثا عن لقمة العيش . وقد غلب التكرار على صور هذه اللوحات بحيث نستطيع أن نستغنى بقليلها عن كثيرها . غير أنه تبقى لهذا العمل الفني ، رغم ذلك . قيمته التي تتمثل في أن مؤلفه هو الشاعر الكويتي الوحيد الذي شغل نفسه بتسجيل ماضي أمته في أسى انسانى عميق . وأن هذه اللوحات النابضة بالحياة وثيقة لها قيمتها في تصوير الحياة الاجتماعية القاسية للشعب الكويتي في تاريخه القديم .

ويتساءل المرء ، حين يقرأ هذه المذكرات . عن الدوافع

التي حدت بالشاعر الى تكريس طاقته الشعرية الخلاقة لتصوير ماضي أمته تصويرا يكاد يحول بينه وبين رؤية الواقع الذى يعيش فيه – وتفسير ذلك أن «الفايز» مثل غيره من الشعراء المحدثين . لا يقصد الى تسجيل هذه الأحداث تسجيلا مباشرا . ولكنه يعرض لها ليتخذ منها وعاء يصب فيه عواطفه ، ويرى فيه ذاته – أو هي كما رأينا في شعر «العدواني» وشعر «السبتي» معادل موضوعى يستغله الشاعر في الرمز عن آرائه وأفكاره في الحياة والناس من حوله .

ورموز «الفايز» في مذكراته . على عكس ما رأينا في شعر هذين الشاعرين من الغموض بحيث تكاد تستغلق على القارىء العادى ، ذلك أن الشاعر يحرص على أن يعرض . في أشعاره . للتاريخ في ذاته . على الرغم من أنه يتخذ من حكاية أحداثه وسيلة فنية لاسقاط عواطفه .

وفي أشعار «الفايز» ما يدل على أنه لم يسلم من القلق . شأن غيره من شعراء الوجدان في الكويت . وهذا القلق يطبع أكثر أشعاره المنشورة . وهي أشعار حرص الشاعر فيها على تصوير ضيقه بحياة مدينته الحديثة في صور مختلفة ، وفي قصائد تحمل مثل هذه العناوين : «الليل والكلمات» . «ما لم يقله المعرى» . و «موت شاعر» و «لكم كرمكم» . وهذا كله يدعونا الى أن نربط بين قلق الشاعر وشعوره بالغربة والفقد في مجتمعه . وبين هربه في «مذكرات بحـــار» الى ماضي أمته القديم . كما يعيننا على الكشف عن حقيقة هذه العواطف الحزينة الغامضة التي لاح فيها يتخذ من مأساة الحياة القديمة رمزا على مأساته ومأساة الحياة الحديثة في الكويت .

وقد تجلى قلق الشاعر في صورتين متمايزتين : الأولى . قلق انساني غايته البحث عن خلاص للجماعة التي ينتمى اليها – أو قل هو قلق جماعي بسبب تلك المشكلات التي أخذت تملأ الحياة الكويتية بعد هذه التطورات الاقتصادية المفاجئة . والثانية . قلق ذاتى . يتجلى في سعى الشاعر للخلاص الفردى ، للهرب بنفسه من هذه الحياة الجديدة حياة المدينة وما فيها من زيف ورياء وتمزق .

وتعكس قصائده في «مذكرات بحار» هذا القلق الجماعى . الذى راح يسقطه على رموز عديدة ، حظيت ثلاثة منها برعاية بالغة منه ، وأخذت تتطور معه بتطور أفكاره ، وتغير مواقفه من الحياة والناس . هذه الرموز هي : البحار الكويتي الذي يطارده الظلم والفقر ، وتفتك به الأمراض ، والمدينة الطيبة ، مدينة الكويت القديمة ، والتي ترقد على شاطئ الخليج تنتظر عودة أبنائها اليها من رحلاتهم الشاقة ، لتأخذهم في أحضانها الدافئة ، وتعوضهم عن الخوف رضا وأمنا ، وعن التعب والمشقة راحة واطمئنانا . والرمز الثالث الذي يتردد في شعر «الفايز» هو الحب ، أو قل هو المرأة ، وهو رمز متغير ، يعبر به مرة عن معاناة الفقد ، حين تموت الحبيبة ، ومرة عن اشراقة الأمل في المستقبل ، حين تعيش الحبيبة لتعوضه عن حياته ، وتأخذه معها الى شاطئ الأمان .

وتذكرنا هذه الرموز ودلالاتها «بالسياب» في ديوانه : «أنشودة المطر» حين يستغل الاسطورة الوثنية أسطورة الاله المعذب «تموز» اله الخصب ، «وعشتروت» ربة النماء في عقائد أشور وبابل ، ويحدث فيها كثيرا من التحوير لتصبح رمزا على الشعب العراقى المعذب في هذه الفترات المضطربة من تاريخه «فتموز يموت على الأفق وتغور دماه مع الشفق» . و «عشتار» هي الأخرى تصلب وتموت ، وينوح الشاعر عليها كما ناح على تموز ، فيقول :

وفي القرى تموت
عشتار عطشى ليس في جبينها زهر
وفي يديها سلة ثمارها حجر
ترجم كل زوجة به ، وللنخيل
في شطها عويل !

وفي قصيدة أخرى نراه يتحول بتموز الى «معاصر» يحاول أن «يبدد ما يكتنف المدينة من ظلمات بنور عقلة وقلبه وشعلة الهامه . فيموت موتا عصريـــا بقوة من قوى المدينة نفسها اذ تصعقه كهرباؤها» – فيقول :

وترسل النواح : يا سنابل القمر
دم ابنى الزجاج في عروقه انفجر
فكهرباء دارنا أصابت الحجر
وصكه الجدار ، خضه ، رماه لمحة البصر
أراد أن ينير ، أن يبدد الظلام . . فاندحر

نستطيع أذن أن نربط بين رمز «تموز» ورمز «البحار» في شعر الفايز ، – كما نستطيع أن نربط بين رمز المدينة القديمة – الكويت – ورمز «جيكور» في شعره أيضا . والرمز الثالث ، رمز الحب ، علامة على الفقد والحرمان ، هو الآخر من الرموز الأثيرة عند «السياب» الذي ظل يتغنى بحرمانه من هذه العاطفة في أسى انسانى عميق . وهذا كله كما قلت يسلمنا الى حقيقة أن «الفايز» أخذ يقلد «السياب» في استغلاله لفكرة الرمز «الموضوعى» في أشعاره ، ولكنه يختلف عنه في أنه راح يتخير هذه الرموز من واقع تاريخه كما رأينا .

ولا نستطيع بالطبع أن نقف عند كل قصائده في هذه «المذكرات» ولكنا نختار واحدة منها هي «اللؤلؤة» يصور فيها تلك العواطف المتنافرة عواطف الخوف والشك والطمع والألم ، والشعور بالحرمان ، حين يعثر هذا «البحار الطيب» على لؤلؤة كبيرة تذهب كغيرها من صيد اخوانه الضعفاء الى صاحب السفينة :

وصرخت : عندي ! وانتفضت ، وأبرقت كل العيون
كشموع أقبية المناجم ، كالجروح الداميات :
قمر صغير .
في عشه الفضي أمسكه . وصاح بي الصحاب :
طوباك ! وانتفض الرئيس كمن يحاذر أن تذوب
من نار عيني : انه يوم جميل !
قال الرئيس . وراح يشبع ناظريه ، ورحت أسأل : أي جيد يا فلان
ستشيع فيه قلادة حملت عذابي في البحار ؟ !
وذكرت ليلى ، عندما انتفضت ضلوعي كالحمامة في الصباح .
حتى أكاد أشم رائحة الضفيرة والوشاح
ورطوبة البئر المثرثر حين تلقى دلوها عند المساء .
طار الخيال
بضلوعي الظمأى وأقدامي تقرحها الحبال ،
وكأن سرا في البحار
ما زلت أجهله ويفهمه القراصنة الكبار ،
الباحثون عن المحار ،
وعن اللآلى والجواهر للنساء الأخريات !

وبهذا النغم الحزين ، راح الشاعر يصف امتلاكه لهذا الصيد الثمين ، ويصف حرمانه منه في الوقت ذاته – في سلسلة من الصور الجميلة التي تعكس هذه المفارقة الحادة بين فقر البحار وضعفه ، وثراء التاجر وظلمه . وهي مفارقة نجدها تتكرر في أشعاره التي وصلتنا على اختلاف موضوعاتها وانغامها ، بحيث تصبح بمثابة المفتاح الحزين لكثير من عواطف الشاعر الحقيقية التي يسقطها على هذا الرمز الأيوبي ان صح هذا التعبير : وأى شئ أدعى الى أسى هذا البحار وضيقه من أن تصبح لآلئه التي يشقى في سبيل صيدها قلادة في عنق جارية تنام على وسادة ريشية في حضن سيدها ، ولا تكون لزوجته التي تعيش على أمل أن يعود اليها :

وضحكت من غبن ، وغنى بعضنا : ليت النساء
اللابسات لآلئ البحار قد ذقن العذاب
ومرارة الدنيا كزوجته الحزينه
في بيتها الطيني حالمة وحيده :
سيعود ثانية بلؤلؤة فريده
يا جوارى : سيعود بحارى المغامر
سيعود من دنيا المخاطر
ولسوف تغرقنى هداياه الكثيره :
العطر ، والأحجار ، والماء المعطر ، والبخور
ولقاؤه لما يعود ، كأنه بدر البدور !
وشعرت بالحقد الدفين على الحياة ، على الجميع على المدينه ،
وكـ«خفرع» في أرض مصر ، وفي الصباح ،
جلس «الرئيس» يمص غليونا ، ويسعل في رياء كالملوك :
هذا هو «الطواشى» والكيس الكبير
كيس النقود ! وكالغراب
يعلو ويهبط في سفينتنا الحزينة . والجميع
يتساءلون – بكم يبيع ؟
. . . . . .
وسمعت دندنة النقود وضحكة كصرير باب :
خذها ، فأسواق الهنود
هيهات تملك مثلها ، وكغيمة سوداء تلعنها الجرار
شقت سفينتنا العباب ، وغاب «طواشى البحار»
كاللص في وضح النهار .
والأرض تشتم من بعيد : يا بحار
ما زلت مثلى ترزحين بكل عبء . والسماء
خرساء صامتة تطل على الجميع بلا حياء !

وليست هذه «المذكرة» أجود أشعار الفايز ، ولا أعذبها نغما ، ولكنى أخترتها لأوضح أن الشاعر قد حرص على أن يجعل من البحار انسانا مقهورا يحس بالظلم الواقع عليه ولكنه لا ينهض لدفعه ، أو قل هو انسان سلبي لا يملك غير ترديد الشكوى وذرف الدموع ، ولا يعنينا كثيرا أن يكون هذا «البحار» رمزا على الشاعر نفسه ، أو رمزا على أبناء مدينته ، أو على الانسان المعاصر في الأقطار العربية الأخرى ، فهو على كل حال صورة للمستضعفين في كل مكان وزمان . وينبغي ألا يخدعنا من هذه السلبية وهذا الاستسلام قوله في الأبيات الأخيرة : «والسماء خرساء صامتة تطل على الجميع بلا حياء» فهو تعبير لا يتردد في مذكراته الأخرى ، وعلى العكس منه . نستطيع أن نجد فيها ما يدل على استسلام للقدر ورضا بما تجئ به الأيام .

وما دام «الفايز» قد اختار للانسان الكويتي أو العربي المقهور هذه الصورة . صورة البحار الكويتي ، فهو يمضى في الصورة الى آخرها . كما تصورها حكايات معاصريه من أبناء هذا الجيل القديم : فيحدثنا عن فقر هذا البحار . وظلم التجار له . وتشرده الدائم في بلاد الهند البعيدة ، ومعاناته من المرض الذي يهد كيانه ، وتعرضه لمخاطر البحر ، في أسماكه المفترسة . وأجوائه المتقلبة ، في صور درامية مؤثرة ، من مثل قوله في المذكرة الأولى :

أركبت مثلى «البوم» و«السنبوك» و «الشوعي» الكبير ؟
أرفعت أشرعة أمام الريح في الليل الضرير ؟
هل ذقت زادي في المساء على الحصير ؟
من نخلة ماتت وما مات العذاب بقلبي الدامي الكسير
أسمعت صوت «دجاجة» الأعماق تبحث عن غذاء

هل طاردتك « اللخمة » السوداء و « الدول » العنيد
وهل انزويت وراء هاتيك الصخور ؟

. . . . . .

. . . . يا دنيا العذاب
ما ذاق مرك مثل بحار تقاذفه العباب
عريان الا من سواد
تنهيب الأسماك منه . والبحار
أحنى عليه من الأرض التى محلت . فلا عطر يضوع
فيها ولا نبتت كروم !
مهما تلبدت الغيوم وأمطرت كل السماء
تبقى ككف بخيلة تأبى العطاء

وقد راح الشاعر يكرر هذه المعاني في قصائده الأخرى ، من غير أن يحدث شيئا من التطوير الواضح في صورة هذا البحار المقهور . وقد أسرف في هذا الجانب اسرافا جعله يعمد الى تسجيل بعض الحكايات عن حياة هؤلاء البحارة ومدى تعرضهم للأخطار ، وهي حكايات لا تثرى المعنى الشعرى ، ولا تضيف الى صورة هذا البحار شيئا جديدا ، ولكنها تثقل القصائد بتفصيلات مملة لا ضرورة لها ، ومن بين هذه الحكايات « المذكرة السابعة عشرة » أن سفينة غرقت وجاهد هو وبعض اخوانه حتى وصلوا الى الشاطئ – وكان مكانا قاحلا لا أثر للحياة فيه – واستبد الجوع به وبأخوانه الذين حاولوا أن يأكلوه ولكن استطاع أن يهرب منهم ليختبئ في أحد الكهوف القديمة . وقد أسرف الشاعر كما قلنا في تصوير هذه الحادثة اسرافا مملا ، ولكنه لم يستطع ، على الرغم من ذلك ، أن يضيف الى شعور هذا البحار بالفقد والضياع شيئا جديدا ، فتكلف الأحداث ، والاسراف في تفصيلها ، قد أوقعه في كثير من التكرار في عرض الصور والمواقف .

ولعل الشئ الايجابي الوحيد في صورة هذا البحار ، هو دفاعه عن وطنه وحمايته لاستقلاله في معركة الجهرة (المذكرة السادسة) ، وهو حدث تاريخي له خطره في حياة الكويت وقد ترك ظلاله على الأدب الشعبي في هذا البلد – ولا يزال الكويتيون يتغنون بأخباره ، فقد كان علامة على طريق الكويت في الاستقلال والتطور . والشاعر في تصويره لهذا الصراع ، لا يحفل بالتفاصيل التاريخية كثيرا ، ولكنه يقف عند هذه « الايجابية » للبحار الكويتي المقهور – وهي ايجابية تتجلى في اصراره على القتال ، على الرغم من فقره ومرضه ، وحاجته الى السلاح ! فهو هذه المرة لا يستسلم للظلم على نحو ما ألفناه في مواقفه الأخرى مع التاجر المستغل :

ها هم رجال مدينتى جاءوا على متن العباب
صوب المجاديف الطويلة مثل ألسنة تقول :
لا شئ غير الحق ، والافعى تموت
في البر أو في البحر . والسم الزعاف
كأس الذين بنوا المعابد والقصور على الدماء

. . . . . .

هزم « التتار »
رجل البحار على سفينته وفي يده منار
من نور عينيه يضاء كما النهار
خاض المعارك بالمعاول والفئوس وبالحجار
والمجد للايمان في صدر الرجال

. . . . . .

مات « التتار »
يا اخوتى الأبطال قد مات « التتار »
والبدر يشرق في سواحلنا كلؤلؤة كبيره
كرسالة بيضاء تحملها النجوم
لعيون موتانا على تلك المفاوز والتخوم .

وليست هذه الايجابية من صنع الشاعر ، ولكنها مستوحاة من أحداث أمته في صراعها الطويل ضد الغزاة ، وهي لذلك لا تعكس شيئا جديدا سوى أن هذا البحار الطيب قد استطاع حين صحا يوما ، أن يغير من حياته وينال من حقوقه .

(٢) وحديث الشاعر عن الحب في مذكراته وجه آخر من وجوه المأساة في حياة البحار الكويتي . وهو على قلته كاف لأن يدلنا على أنه راح يتخذ من هذه العاطفة الانسانية وسيلة فنية لاسقاط عواطفه . وقد عبر الشاعر عن شعوره بالفقد والحرمان واحساسه بالضياع من خلال رثائه « لطيبة » وهي أمراة لا يذكرها في أشعاره الا حين يتحدث عن موتها ، مما يدل على أنه يتخذ منها رمزا على الفقد ، ولنقف عند هذه المقاطع من « المذكرة الخامسة » وهي قصيدة طويلة خصصها لرثائها :

من يشترى أفراح بحار يعود مع المساء
الشمس في عينيه ماتت مثلما مات العبير
والنور في بيت خلا لولا حصير
وفتيل مسرجة كأهداب الضرير
لم تنبت الأرض الزهور
وعظام موتانا بها ؟ اين الحبيبه
ماتت من الجدرى « طيبه »

. . . . . .

أين الضياء
بعيونها ؟ أين انطلاقات الضفيره
ووميض مفرقها كخطر من نجوم
في ليل أيامي الحزينة . أين أفراح اللقاء ؟

لما أعود وملء أعماقي كآبات المساء

وهذه تجربة نفسية واضحة الدلالة : فالشاعر ، أو البحار ، لا يكاد يعود بعد هذه الرحلة الطويلة المليئة بالأخطار ، حتى يجد حبيبته «طيبة» قد ماتت ، وهكذا يصبح رجوعه بلا أمل وبلا معنى – فيستعجل العودة الى البحر عله يستطيع أن يغرق أحزانه في أعماقه المخيفة ! وهكذا راح من خلال حديثه عن هذه المرأة ، يصور ضياعه في البحر والوطن .

ولا يختلف حديثه عن «طيبة» هذه في أشعاره الأخرى عما جاء في هذه القصيدة : نفس الشعور بالفقد والاحساس بالضياع والرغبة في الرحيل ، وان كانت تمتاز منها في شئ واحد ، هو عناية الشاعر بالحديث عن أيامه الخالية الى جوارها ، وقد تجلت هذه العناية في وصف عطرها وثيابها ، واطالة الوقوف على قبرها ، وهو قبر غريب لأن رماله «عابقات بعطرها» ! .

لا ! لا تقولى رحلتى كانت طويله
ما زلت أذكر كل شئ عنك يا «طيبه» الجميله
إني دفنتك في فؤادى
بين أضلاعي العليله

. . . . . .

القرط يحمل ليل شعرك والمواقد حر ناري
حتى ثيابك لا يزال عبيرها عبقا بداري
صندوقك الهندى ذو الأصداف والحق الصغير
قيدان لي ولقلبي الدامي الكسير

. . . . . .

أين الشفاه العابقات كما الزنابق في رباها ؟
ورداؤها العربي حين تخيطه ليلا يداها ؟
يا ليتنى مسرى الخيوط وابرة حملت شذاها !

. . . . . .

يا ليت أعماقي تراب
بدل الرمال العابقات على ثراها يا رفاقى في البحار

. . . . . .

واليوم أحببت الرمال
العابقات بعطرها وكرهت محار البحار

. . . . . .

وكما يتخذ الشاعر من الحب رمزا على الفقد والحرمان والضياع ، فانه ، في قصائد أخرى راح يعبر من خلال هذه العاطفة عن رضاه بحياته ، وسعادته بالعودة الى أرضه : حيث الزوجة والأهل والأصدقاء ، أو قل حيث الأمل المشرق في الحياة :

صوت الدفوف يرن في أذنى فتشربه الضلوع
من الحنين
قبل الرسو الى الضفاف المشرقات
بنسائنا ودفوفهن ، نسائنا المتطلعات ،
للبحر حيث شراعنا كحمامة بيضاء أعياها المطاف
فلها حنين للضفاف

. . . . . .

وغدا يباركنى الرجال كما تباركها النساء
وغدا سأدخل بيتها بعد المساء
سنير دربى ضوء فانوس وتهليل . ورائحة البخور
في بيتها الطينى يومئ لى . ليبتلع الزمان

. . . . . .

سأشق دربى بينكن بثوبى العطر الجديد
وعباءتى السوداء ، حيث يدى
تراقص خيط مسبحتى الطويل
وبأضلعى شوق السنين بما تضم من الحنين
سمراء يا فجر الربيع ويا عطور الياسمين
يا أغنيات القلب حين يجيش بالفرح الحزين

. . . . . .

(٣) ولهفة العودة الى الوطن ، كما تتجلى في هذه «المذكرة» أو في غيرها من القصائد ، تسلمنا الى حديث الشاعر عن مدينته ، أحد رموزه التي راح من خلالها يعبر عن مواقفه من الحياة والناس . وقد استغل «الفايز» كما فعل «بدر شاكر السياب» في ديوانه «أنشودة المطر» ، صور الجفاف والعطش في مدينته القديمة الفقيرة وسيلة يعبر بها عن الجدب والعقم الفنى والاجتماعي والسياسى في حياة مدينته الحديثة . وهذه المدينة القديمة مع فقرها وصعوبة الحياة فيها ، أثيرة لدى الشاعر حبيبة الى قلبه يحس دائما بالشوق اليها ، ويعيش على أمل العودة سالما الى شواطئها – أو قل ، ان شئت أن تلخص أحاسيسه جميعا ، انها بالنسبة اليه مثل «حيكور» بالنسبة «للسياب» رمز على الرغبة في الخلاص . ولكن أى خلاص هذا الذي يسعى الشاعر اليه : أهو خلاص من الحياة الجديدة وأثقالها الاجتماعية والسياسية ، أم هو مجرد حنين الى ماض قديم ؟

ان ملاحظة رمز المدينة كما ورد في ديوان «الفايز» يسلمنا الى مرحلة نفسية جديدة في أشعاره ، هي ما نسميه بمرحلة العذاب الذاتى أو الفردى ، وهي مرحلة ارتداد واضحة في حياته الفنية ، أو قل مرحلة تخلل من شعر الالتزام الاجتماعي ، وعودة الى التعبير الرومانسى الغائم ، الى الرؤى والأحلام و «الطرطشات» العاطفية التي رأيناها في شعر «فهد العسكر» . وتجلى هذا التحول في أمر آخر له قيمته ، هو ايثاره ، في اكثر قصائد هذه المرحلة ، للشكل الشعرى التقليدى ، وكأنه بذلك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يريد أن يعلن عن رفضه لكل مظاهر الحياة الحديثة ، في أشكالها لعملية والفنية .

ولا نجد تفسيرا لهذا التطور العكسى ، أو هذا الارتداد النفسى ، سوى ما نعتقده من أن الشاعر قد فشل في تحقيق طموحه نحو مركز اجتماعي ووظيفى مرموق ، شأن أبناء مدينته الآخرين الذين تطورت بهم الحياة الحديثة في الكويت تطورا واسعا ، وقفزت بهم نحو مراكز مرموقة لم يكونوا يفكرون في الوصول اليها في ماضيهم القريب – وهذا من شأنه أن يفسر لنا هذه العواطف الرومانسية الغائمة التي راحت ترى الفشل والغدر والزيف في كل مظاهر الحياة في مدينته الحديثة – حتى عواطف الحب التي رأينا الشاعر يتغنى بها غناء انسانيا مؤثرا في مذكراته ، قد استحالت هي الأخرى الى عواطف زائفة .

وتدل عناوين القصائد التي نشرها في «النور من الداخل» على طبيعة هذا التحول النفسى والفنى ، فهناك قصائد تحمل هذه العناوين : «الفجر ومدينة البحار» و «لكم كرمكم» و«حملتك دهرا» و «الليل والكلمات» و «موت شاعر» و «أغنيتان للحروف المحترقة» و «التنور الكبير» و «الذي احترق ولم يمت» – و «ما لم يقله المعرى» وتعكس قصيدته الأولى «الفجر ومدينة البحار» ضيقه بحياة مدينته ، وضيقه بالوافدين عليها من الطامعين في خيرها ، ممن يسميهم بالغجر مرة والتتار مرة أخرى :

غجر !
غجر !
قوافل الغجر
قد دخلت مدينتى لتخطف القمر
وتسرق الرحيق من براعم الزهر
. . . . . .
مدينتى يسرقها الغجر
قد هدموا أسوارها
فلم يعد من ذكرها خبر
ودنسوا رمالها
فلم يعد لخيمة أثر
وشردوا بحارها
فلا نهام ساهر ولا وتر
. . . . . .
لا تقرع الأجراس يا شاعرنا
فالكل في آلامه سكر
وبعضنا على صليبها انتحر
وبعضنا يعاتب القدر
يصنع من جراحه قصائدا

حروفها ميتة الصور !

ونستطيع أن نمضى في القصيدة الى نهايتها لنرى النغم يتكرر : نغم الحنين الى المدينة القديمة التي أحبها الشاعر ونغم الضيق بالمدينة الحديثة . وينبغي ، لكي نفهم طبيعة هذا التحول النفسى أن نلاحظ هذا التطور الذى أخذ يطرأ على «رمز المدينة» في أشعاره : فهي في مذكراته مدينة «ثلجية الجدران» . وبيوتها «الموصدة الأبواب كأنها مقبرة لعالم قديم» ، والشاعر يكاد يموت فيها «مختنقا بالليل والدخان» وغدران المياه فيها قد «محلت فأمست كالقبور مخسوفة سوداء تملؤها الصخور» . ولكنها ، في قصائده الأخيرة ، تعود فتصبح لدى الشاعر رمزا على الجنة الضائعة ، بعد أن كانت صورة للبؤس والفقر والخراب ، أو قل تصبح رمزا على رغبة الشاعر في الخلاص النفسى من أوزار الحياة الجديدة في بلده :

ظمـــآن ايـن منابعى ومناهلى
لا شيْ غير سباسب ومجاهـــل
لا شيْ غـير الليـــل في أبعـــاده
وبصيص أنجمـه رمـاد قنـــادل
وكأننى وأنـــا بعالـــم واقعى
أبـدا أعيش على هوامش راحـــل

° ° °

يـا ضيعـة العربـي لا صحراؤه
تجـدى ولا أعشاب ربـع آهـــل
لـم يبـق من اشعاره وخيامـــه
ومن المواقد غير ظل زائـــل
قلبت مفاهـيم الحيـــاة جميعـها
وتبدلت مثـل الخيال الآمـــل
لـم يبـق في كأس الرشيـد بقيـــة
لأبـــي نواس في الزمان الراحـــل

° ° °

أبدا أعيش على هوامش عالـــم
وهو الذى قد قام فوق كواهلـــى
أنـا ما نقمت عليه لكنـــي أرى
معنى حياتى في فراغ هائـــل
جدران بيتى لـــم تسوّ صخـــره
كفي ولا مرّت عليـه ازاملـــى
وتكاد أفكارى تـــذوب بنـــاره
من بعد ما حرقت جميع اوائلـــى

وقد تجلت هذه الأحاسيس الرومانسية الغائمة بصورة أوضح في قصائده : «موت شاعر» ، «الى المسافر مع الكلمات» ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«الذى احترق ولم يمت» ، «ما لم يقله المعرى» ، وهي جميعا تعكس هذا الارتداد النفسى وهذا الهروب من دائرة الالتزام الجماعي الى دائرة التغنى بالذات .

(٤) فاذا ما تركنا هذا الجانب الموضوعي من شعر «الفايز» الى الجانب الفنى لاحظنا أمرين : الأول ، أن الشاعر قد حرص ، في أكثر قصائده ، على اصطناع الشكل الشعرى الجديد . والثاني أنه راح يغلب النزعة الدرامية على صوره الشعرية .

وهذا التطور الفنى الذى انطلق فيه «الفايز» وغيره من الشعراء المحدثين ، تطور يمس الشكل الشعرى في وزنه وعروضه وموسيقاه ، وهو يتخذ مما يعرف في الشعر الجديد بالسطر الشعرى أساسا لأوزانه ، الشعرية ، وهي أوزان على الرغم من جدتها ، لا تزال تعتمد على «التفعلية» بوصفها وحدة موسيقية ، ولكن هذه الوحدات أخذت تترتب ترتبا مختلفا لتخرج نغما شعريا جديدا . واذا كان هناك ما ننبه اليه ، فهو أن الشاعر لم يعرف كيف يستغل الجملة الموسيقية استغلالا صحيحا بحيث يرتبط النغم الموسيقى بالمعنى ارتباطا وثيقا . وواضح من النماذج التي عرضنا لها من أشعاره ، أنه يجزئ المعنى الواحد على جمل موسيقية مختلفة ، أو قل يمزق الصورة الواحدة . بحيث يجد المرء نفسه مضطرا الى الوقوف عند القافية الموسيقية قبل أن يكتمل المعنى . ولنضرب على ذلك مثلا بمقطع من المذكرة الأولى :

أمسكت «مفقلة» المحار
في الفجر مرتجفا لتكتمل القلاده
في عنق جارية تنام على وساده
ريشة في حضن سيدها . ورائحة المحار
بازارك البحرى تعبق . والبحار !

وهذا التقسيم الذى عمد اليه الشاعر قد جاء على حساب المعنى وهو تقسيم يكاد يكون ظاهرة تميز شعر «الفايز» الى جانب ظاهرة أخرى أحالت موسيقى قصائده الى نغم رتيب فاتر ، هي حرص الشاعر على تسكين قوافيه !

والنزعة الدرامية التي تغلب على قصائده ، لا تقوم على الحوار كما في شعر «السبتى» وانما تتحقق عن طريق هذه الصور والمواقف والمعاني المتقابلة التي يحفل بها شعر «الفايز» – وهي صور ، في أكثر حالاتها ، تسجيلية مباشرة لا ينفذ الشاعر فيها الى ما وراء معانيها الظاهرة ، ولكنها مع ذلك قد أضفت قدرا من الجدة على قصائده – ومن بين هذه الصور التي حظيت بعناية الشاعر ، صورة البحار الفقير الذى يذهب صيده الى النساء الجميلات ، وصورة التاجر المستغل ، و «النهام» الذي يتنقل على السفينة «كغراب حارات قديمة ، يشدو بألحان حزينة» . ومن الصور الجميلة وصفه للجفاف في هذه المقطوعة :

فالأرض رمل والسماء
بيضاء صافية كنهر من جليد
هيهات لم تمطر ويهتف من بعيد
نفر يبشر : ان صارية تلوح
كهلال مئذنة يغلفها الضباب
عبر العباب
وعلى ظهور جمالنا الظمأى تحجرت القراب
سوداء فارغة يغطيها التراب
كبطوننا تحت الشراع
صلّي اذن ، فالموت أقرب ما يكون
والريح أغرقت السفينة والسماء
حقدت علينا يا «أمينه» !



✱ الجزء الثالث من – الموسوعة الكويتية المختصرة – يطبع الان في بيروت ، وسيحوي كل ما تبقى من الحروف الابجدية ، وسيكون الجزء الثالث ، كما قال المؤلف حمد السعيدان افضل من سابقيه ، وكان المفروض ان يصدر عام ١٩٧١ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووصفه المؤثر لكتاب قريته ، وحيطانه المتهدمة التي تدخل الشمس الحارقة من ثقوبها – وحصيره البالي ، وقسوة سيدنا في عقاب هؤلاء الصغار – وهي صورة مألوفة في حياة الطفولة في القرى العربية الفقيرة :

في بيت «سيدنا» تعلمنا الكتاب
الحمد لله الذى خلق العظام من التراب
ومن الثقوب الناتئات على الجدار
كعيون أعمى كالجروح الداميات
ينسل ضوء الشمس من كل الجهات
وبما تبقى من حصير
أو بالخروق الباليات
نسد عين الشمس في ذلك المكان !
وعلى الجدار
مسمار فلقتنا تهدل كاللسان
كالإصبع المجدور ينذر بالعقاب
للصبية المتمردين

وقد اختلطت أمثال هذه الصور المؤثرة بنثرية مسرفة في بعض أشعاره ، وهي نثرية فرضتها على أسلوبه رغبته في تفصيل الأحداث والالحاح في تكرارها . ونجد نموذجا لهذه النثرية في المذكرتين : «السابعة والسابعة عشرة» ، حين راح يفصل في وصف غرق سفينته وحكاية ما تلا ذلك من أحداث كادت تودى به في مثل هذه اللغة النثرية :

وحلفت بالله العظيم
قد مات منتحرا ! ولو أن النجوم
تعطى شهادتها لقالت ما أقول !

° ° °

وبكيت من حزن عليه وليس خوفا أن يقال :
انى قتلت ، لأننى أهوى الجميع
وأحفظ الشئ الكثير من الكتاب :
القاتلون سيقتلون

وهذا كله يدل على أن تجربة الشعر الجديدة لم تستو عند هؤلاء الشعراء الكويتيين استواءها عن «السياب» الذي رأيناه يؤثر فيهم جميعا ويترك شعره ، سواء في لغته أو صوره ورموزه ، بصماته واضحة على قصائدهم .

● ● ●

« رابطة الادبـاء والاسهام في تمويـل دراسـات مركز الابحـاث »

كان الحكم دروزه نائب مدير عام مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية الذي مقره بيروت ، قد كتب الى الهيئة الادارية لرابطة الادباء في الكويت يقول « ان لدى مركز الابحاث مجموعة قيمة من الدراسات حول اسرائيل والقضية الفلسطينية اعدها باحثون متخصصون وكان المفروض ان تصدر من ضمن برنامج النشر السنوي لهذا العام ١٩٧١ ولكن الظروف المالية الصعبة التي يمر بها المركز حالت دون ذلك ونظرا لما لهذه الدراسات من قيمة قومية وعلمية فقد راى المركز ان يتجه الى عدد من المؤسسات والجمعيات العربية لتتولى تمويل هذه الدراسات كاصدار مشترك بينها وبين مركز الابحاث .. وعلى هذا الاساس مولت جامعات الخرطوم والكويت ودمشق عدة دراسات ، كما قامت جمعية الاقتصاديين الكويتين مؤخرا بتمويل دراسة عن العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل » .

من هنا فقد توجه مركز الابحاث الى رابطة الادباء في الكويت لتمويل اصدار احدى هذه الدراسات التي تتراوح تكاليفها بين ٧٠٠ـ١٠٠٠ دينار كويتي ، مع اتفاق ان تصدر الدراسة حاملة اسمي مركز الابحاث والرابطة ، كما ان لدى المركز الاستعداد لتقديم اي عدد من النسخ.

وبسبب « الاهمية القومية الدائمة » لهذا المشروع ، فقد وافقت الرابطة على المساهمة « في مجهود متواضع ما دام يخدم القضية الفلسطينية بصفة خاصة والقضايا العربية بصورة عامة » كما تقول الرابطة في ردها على المركز .

وراى مجلس الادارة بعد ان درس القائمة المرفقة بكتاب المركز والتي تحمل اسماء هذه الدراسات ان تقوم الرابطة بطباعة كتاب « الكتب الاوروبية عن عدوان حزيران » للدكتور صادق العظم، والذي يتالف من ٤٨٠ صفحة على ان يزودهم المركز بعدد الفا وخمسمائة نسخة من الكتاب بعد الطبع لكي تقوم الرابطة بدورها في تعميم الفائدة حسب الابعاد التي تراها .

ونحن ننشر لننوه بهذه الحركة المتقدمة التي سلكتها « رابطة الادباء في الكويت ولتحيتها ايضا على هذا المسلك الرائع » .

" السياسة " الكويتية

خطبة لهاشم بن عبد مناف

أيها الناس ، الحِكم شرف ، والصبر خلف ، والجود سؤدد والمعروف كنز ، والجهل سَفَه ، والعجز ذلة ، والحرب خدعة ، والظَفر دول ، والأيام عبر ، والمرء منسوب إلى فعله ، ومأخوذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، واستشعروا الحمد تفوزوا به ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر ناديكم ، وحاموا عن الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يرفق بكم ، وعليكم بمكارم الاخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنيئة ، فإنها تضع الشرف وتهدم المحل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



أنا والمنجم

سجدة على قبر أبي تمام

في مهرجان الذكرى للشاعر العربي الخالد .. ابي تمام الطائي ، الذي اقامته وزارة الاعلام بالجمهورية العراقية بمدينة « الموصل » حيث يرقد رفات ابي تمام من ١٩٧١/١٢/١١

شعر
محمود حسن اسماعيل

انا ، والمنجم .. فوق صدرك ياابن أوس ، ساجدان ، مسبحان
وتران .. من نغم الخلود ، على ثراك يغردان ، يصليان
يتهادلان بكل ما حلقت فيه من البيان ، ويسجعان
وبكل سحر ، رحت تعزفه جديد الطيلسان ، يهومان
.. نشوان ! يرفض ان يكون اللفظ مسبوق الكيان ، بلا كيان
.. غضبان ! يرفض أن يكون الوهم مصباح التلفت في الزمان
.. عطشان للاضواء ، ينزحها حقائق تزدري كذب اللسان
.. صياد تائهة العوالم،في كهوف تائهات الدرب في غلس الجنان
.. شراب عنقود الرحيق ، ولو أطل بغير كرم أو دنان !
.. سلاب عاصية المشاعر ، من ضمير الشعر يلقفها العيان
لا اللفظ جوس للسماع .. وانما جرس وهمس .. عاشقان ..
متعانقان على الرباب ، هواهما روح مفكرة اللسان
لطمت من التقليد وجها كان في شرفات نايك ديدبان
يئد الصدى بصداه تسطع نبرة او همسة .. مخلوقتان
لم تسمع الاوتار مثلهما ، ولم يرضع شعاعهما بيان
بين السطور غريبتان ، وفي العبور جديدتان ، عريقتان
لا حذو ، لا مقياس ،.. بل بركان احساس به تتألقان
بيديهما شجن النفوس .. بكل أفق للحياة تناديان
في ثورة ، أبت الوقوف ، بعمقها وجديدها تتغنيان
اصلابها عربية ، وهما الغد الآتي لها ، عربيتان
تتحركان بكل معنى .. لا اجترار ، ولا اكترار ، ولا اختزان
عبرت دجى التاريخ ترفع مبدأ .. رفع الحقيقة بالبنان ..
.. السيف حق !
والنجوم خرافة .. والغمد هيكله هوان
.. أصغيت ، ثم رأيت ،
ثم تفجرت من قاع روحي نغمتان
أنا والمنجم .. فوق قبرك ساجدان !
أنا في الصدى
وهو الردى المحتوم ــ تلك حقيقتان !!
أنا .. كنت لحن السيف ،
وهو .. جبين عمورية .. متناقضان !
حد ، .. وخد كان أشهى في هواك من الهوى يوم الهوان !
كلمته ، بصبا السيوف ، وكبرها ، وجنونها يوم الطعان ،
وبانها شرف الثرى .. بعد الاله بغيرها لا يستعان !!
جئناك ...
مزمورين ، مخمورين ...
من دهش المدى .. يتعجبان
يتنقلان على صداك مع الخلود
... ويشربان ، ويسقيان !
قم ... واملأ الاقداح ثانية
.. وجلجل في الصفوف .. بلا أوان !
فاللهو واللعب استمرا في العروق
مع المرارة يجريان ...
واعد نفير الارض !!
.. عمورية أخرى تشوق للاذان !!

مع كتاب

البلاغة عند السكاكي

تأليف
الدكتور
أحمد مطلوب

عرض
عبد الرزاق البصير



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا كتاب نال به مؤلفه شهادة الماجستير من جامعة القاهرة بتقدير ممتاز وليس من شك أن المؤلف لم ينل هذه الدرجة العلمية إلا لأنه عكف على بحثه عكوف العلماء الذين يجدون أكبر اللذة فيما يصادفهم من مشاق في بحوثهم العلمية ، فهو حين يتناول موضوعاً يلمّ به إلماماً كاملا ، مما يجعله قادراً على إعطاء القارىء صورةً صادقةً تامة عن ذلك الموضوع . مثال ذلك حديثه عن خوارزم ، ذلك الاقليم الذى كانت له منزلة معروفة لما أنجبَ من رجال ساهموا في الحركة العلمية والأدبية . وأنت حين تتم قراءة هذا الفصل ، تجد أن المؤلف لم يدع زيادةً لمستزيد ، فقد أورد ما قاله العلماء والرحالون عن ذلك الاقليم من أنه موطن لكثير من العلماء الأعيان كالزمخشرى والرازى والمطرزى والسكاكى وغيرهم ممن تزخر بهم كتب الأدب والتاريخ ، وان منطقته وافرة الخيرات والجمال ، وأن أهلها يتمتعون بحسن الأخلاق ، وفيها قامت دولة خوارزمية بسطت سلطانها على كثير من الأقطار .

ولقد سيطرت عقيدة المعتزلة على عقول الناس في هذه البيئة العلمية حتى لتكاد لفظة خوارزمى ترادف لفظة معتزلى . ونحن نعلم أن هذه العقيدة تدفع أصحابها إلى التعمق في علوم المنطق والفلسفة ، وقد ظلت هذه البيئة مركزاً من مراكز العلم والثقافة حتى بعد أن أصابها ما أصابها من الخراب والدمار على أيدى جيوش التتار .

على أنك تحسُّ بأن المؤلف قد أوجز في وصف هذا الاقليم بعض الايجاز فهو لم يورد إلا بعض ما قاله علماء الجغرافية والرحالون عن هذا الاقليم .

وفي قرية من قراهُ ولد سراج الدين يوسف بن أبى بكر محمد ابن على ، أبو يعقوب السكاكى الخوارزمى في سنة ٥٥٤هـ كما يقول ياقوت الحموى . أما مدة بقائه في هذه الدنيا ، فقد اختلف المؤرخون فيها ، فمن قائلٍ أنها ثمان وستون ، ومن قائلٍ انها ثلاث وسبعون . وقد انصرف إلى العلم بعد أن تجاوز الثلاثين من عمره ، وكان قبل ذلك حداداً دقيق الصنعة ، صنع محبرةً لطيفةً أهداها إلى أحد الملوك ، لكنه لم يلقَ من ذلك الملك ما كان ينتظره من تقدير واحترام ، وقد صادف أن رأى احترام ذلك الملك لبعض العلماء فأثّر في نفسه وترك ما هو فيه من صنعة وأقبل يتعلم . ويبدو أن اقباله على العلم في مثل هذه السن أوحى إلى بعض الناس قصةً سخر فيها من ذكائه ، أو أن براعته في علم البلاغة قد أثارت خصومه ومنافسيه فحبكوا هذه النكتة البارعة ، وهى أنه لما جلس في حلقة الدرس قال له شيخه انك تجاوزت طور التعليم وأن ذهنك أضعف من أن يتلقى العلوم ، لكن السكاكى ألحّ في الطلب ، فقال له الشيخ : إحفظ هذا الدرس ، وهو : « قال شيخنا الشافعى أن جلد الكلب يطهر بالدباغة . » وأعاد عليه هذه المسألة ألف مرة . فلما كان من الغد قال له شيخه أعد علىّ ما قلته لك بالأمس ،

فقال السكاكى : « قال الكلب ان جلد الشيخ يطهر بالدباغة » ، فقال له الشيخ : « ألم أقل لك يابنى ان التعليم صعبٌ على أمثالك ؟ »

لكن السكاكى الحّ في طلب العلم حتى وصل إلى مبتغـــاه ، فكان من العلماء الذين تُشدُّ اليهم الرحال ، فألّف (مفتاح العلوم) وهو كتاب أثنى عليه العلمـــاء أعظم الثناء ، ولقد أصبح هذا الكتاب مرجعاً لا يستغني عنه أىُ طالب يريدُ أن يتعمق في علوم البلاغة .

ولا بد لنا هنا من أن نعرفّ ما لهذا العلم من مكانة في النفوس ، وكل أمر تكون مكانته بقدر ما يؤثر في الحضارة . والحق أن علم البلاغة قد خدم اللغة العربية والأدب خدمةً لا تقدّر ، إذ انه هو الذى قد أبان للناس مواطن الجمال فيما صدر عن الأدباء والشعراء من آثار ، كما أن النقد الأدبى اعتمد على علم البلاغة كل الاعتماد . أما إذا أردت ذلك ، فما عليك إلا أن ترجع إلى ما كتبه المؤلف بهذا الصدد ، فقد استقرى ما كتبه المؤلفون في علم البلاغة وناقش جلّ ما جاء فيها من آراء وأبان أن القرآن الكريم كان من أهم المنابع التى دفعت العلماء إلى إنشاء هذه العلوم .

وليس من شك أن المؤلف قد لاقى من التعب ما لا يصبر عليه إلا العلماء . ومن لطيف أمر المؤلف أنه لم يتحدث للناس عما لقيه من مشاق كما هو شأن كثير من المؤلفين . ولقد عقد فصلا أوضح فيه أن علمى البيان والمعانى كانا يترددان في أحاديث الجاحظ فـــى البيان والتبيين وفي كتاب المثل السائر لضياء الدين بن الأثـــير ، وفي كتاب دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة للجرجانى إلا أن السكاكى كان في رأى المؤلف أكثر تحديداً من غيره لهذين العلمين . فهو الذى قسم البيان إلى ثلاثة علوم ، علم المعانى وعلم البيان . أما علم البديع فقد أطلق عليه اسم المحسنات ، على أن هذا التقسيم لم يرض بعض العلماء كالاستاذ على عبد الرزاق ، وحجته في ذلك أن هذا التقسيم لم يقل به أحد من العلماء الذين سبقوا السكاكى ، ولاننـــا نلاحظ بأن بعض أقسام هذه العلوم الثلاثة كثيرا ما تتداخل بعضها ببعض ، ولكن الرد على هذا الاعتراض يكون في أننا ينبغى علينا أن لا نقف على ما قاله علماؤنا الاقدمون ، فلا يجوز لنا أن نتخطاه في أمر من الأمور ، لاننا إذا ما فعلنا ذلك نكون قد منعنا عقولنا عن التفكير والانطلاق . أما أن تتداخل هذه العلوم الثلاثة بعضها في بعض ، فهى حجة لها قوتها . إلا أن هذا التقسيم يعطى للنقد انطلاقه وطاقة يحسن بنا أن نؤيدها ونعززها . ثم ان في تحديد كل علم من علوم البلاغة أو فصل من فصولهـــا على الاصح تسهيلا للـــدارسين . فينبغى أن نحصر كل فصل ونعين جوانبه ومقتضياته . إلا أن المؤلف بعد أن أيد السكاكى في تقسيمه ورد على الاستاذ على عبد الرزاق ، عاد فانتقد السكاكى . ورأى أن يكون علم البلاغة علماً واحداً باقسامه الثلاثة ، المعانى ، والبيان ، والبديع .

ومن يتأمل كلام السكاكى في علوم البلاغة يجد أن علم المنطق قد أثر عليه تأثيراً شديداً . إذ اننا نجده يكثر من كلام مصطلحات المناطقة ، مثل حصوله في الذهن وحصوله في الخارج ، ولفظـــة الاصل ولفظة الاستدلال وكثير غيرها .

والمؤلف يرى أن البلاغة تعتمـــد على الـــذوق الادبى ، وان تفسيرها ، أى البلاغة ، حسب مقاييس المنطق يخرجها عن الذوق وهو مرتكزها الأصلى ، ومع انى اوافق المؤلف في هذا المذهب إلا انى أعتقد أن هذا المذهب الذي سلكه السكاكى أمر طبيعى لابد منه ، فالاديب دائماً يتأثر بما يطلع عليه ، وذلك بعد أن يتمثله ، فإنه لابد وأن يظهر في انتاجه ، ثم ان استعمال الاستعارة والمجاز والتشبيه والخبر والطلب وما إلى ذلك من جـــزئيات علوم البلاغة حسب مقاييس المنطق قد يوضح جوانب الأثر الأدبى ، فنحن حـــين نشبه الخد بالتفاح ، والعين بالنرجس قد نحتاج إلى أسباب تشبيهنا بهذه الأشياء ، إذ ان الذوق الأدبى لا بد وأن يعتمد في استحسانه لأمر من الأمور على بعض القواعد ، والا فإن كل فرد يستطيع ان يقول ان هذه اللفظة وهذا التشبيه مخالف للذوق . على انى لا أنكر أن اسلوب السكاكى معقد ، لأنه كثيراً ما يعتمد في كلامه عـــلى أسماء الاشارات : هذا مثل تلك ، و قد يغرق في المقاييس المنطقية إلى درجة يكون كلامه من ذلك النوع الـــذى هو أبعد ما يكون عن النقد الادبي كقوله :« ولا يجب في ذلك التعليق ان يكون مما يثبته الفعل بل ان كان مما يثبته اعتقاد المخـــاطب أما لعرف أو لغير عرف أمكن المتكلم أن يطمع من مخاطبه ذلك في صحة أن ينتقل ذهنه مـــن المفهوم الاصلى إلى الآخر بواسطة ذلك التعلق بينهما فـــى اعتقاده » . .

ويخيل إلىّ أن المؤلف قسا على السكاكى حين قال « لقد نقل ، أى السكاكى ، بلاغة عبد القاهر الجرجانى برمتها ولم يشر إلى هذا النقل إلا مرتين ذكر فيهما الجرجانى » ص ١٩٤ وحين قال أيضاً « وهكذا استفاد السكاكى مما كتب ابن فارس وكان عمدة ما كتب في علم المعانى وان لم يشر اليه ، دأبه في ذلك دأب الآخرين الذين سطوا على كتبهم ولم يذكرهم أو يشر إلى مؤلفاتهم التى نقل عنها » ص ٢٠٣ . فليس من شك ان السكاكى قد تأثر بالعلمـــاء الذين سبقوه وصنفوا في علوم البلاغة ، وقد يكون هذا التأثر كبيراً جداً يبلغ درجة نقل المصطلحات بأسرها ، ولكنى أحسب أن هذا لا يعد سطواً أو سرقة ، لأن مصطلحات العلوم واحدة ، لا يمكن لأى مؤلف أن يأتى بغيرها إذا ما أراد أن يتحدث عمّا اصطلـــح عليه أرباب تلك العلوم ، ولا سيما العلوم النظرية . فأنت حين تقرأ كتب الفقهاء والأصوليين والمتكلمين ، لا تكاد تفرق بين عالم وعالم ، لأن المصطلحات واحدة كما ذكرنا . ثم ان اتساع آفاق الفكـــر لم يبلغ ما بلغه في عصرنا الحاضر ، وحتى في هذا العصر ، فإنك إذا قرأت كتب الفلسفة والمنطق والنحاة ، وجدتها متشابهة في كثير من النواحى ، لأن كل فيلسوف لا بد وأن يكون متأثرا بمن سبقـــه من الفلاسفة ، وكل عالم نفسانى لا بد وأن يكون متأثرا بمن سبقه من علماء النفس . وهكذا الشأن في كل الفنون والعلوم .

فالسكاكى كغيره من علماء البلاغة يتحدث عن الايجـــاز والاطناب والفصل والوصل والاستعارة والتشبيه والمجاز ، فلا بد له من أن يستعمل المصطلحات التى أشار إلى أنه جمع شتاتها ونسقها ورتبها حتى ان من جاء بعده لم يأت بجديد .

ثم درس بعد ذلك المصطلحات البلاغية واحداً واحداً وأرخ هذه المصطلحات مبتدئا بالجاحظ ومنتهياً بالسكاكى .

وبعد أن فرغ من ذلك كله أوضح ما أضاف اليه السكاكى في

علوم البلاغة من آراء وأفكار ، ثم فصل بعد ذلك الأثر الذى احدثه (مفتاح العلوم) من أثر عظيم في نفوس العلماء ، فقد شرحـــوه ولخصوه ونظموه ، وبلغ الذين شاركوا في ذلك خمسين بـــين شارح ومختصر وناظم ! ! !

ولقد تحدث المؤلف عن هؤلاء العلماء بصورة مركزة تجعل القارئ يظفر بثروة فكرية قل أن يجدها في كتاب ، ولم يكتف بهذا ، وإنما أشار إلى المدارس التى تأثرت بالسكاكى ، ذلك العالم الكبير . ثم عاد إلى ما فعله السكاكى من تقسيم للبلاغة ، فأورد آراء بعض العلماء المعاصرين ، وهم : الاستاذ المرحوم الشيخ أمـــين الخولى ، والاستاذ المرحوم أحمد الشايب ، والاستاذ العـــلايلى ، وناقشها نقاش العالم المطلع . وخلاصة رأيه : أن ذلك التقسيم أصبح غير جدير بالتدريس في هذا العصر ، لانه متأثر بالفلسفة والمنطق ، فمن الافضل أن تكون البلاغة كلها في علم واحد . أما تحليلنـــا ونقدنا فإنه يجب أن يكون على أساس وضع الكلمة في موضعهـــا ، مراعين في ذلك تأثيرها في النفوس ، على أن لا يطغى علم النفس في تحليلنا ونقدنا كما طغت الفلسفة والمنطق على دراسات المتقدمين .

وبعد ، فقد ظفرت ، بقراءة هذا الكتاب ، بمتعة كبـيرة وفائدة أكبر . . .

— عبد الرزاق البصير

●●●

قدر المبدعين

مهداة الى صديقي الشاعر ضياء الخاقاني



عبد الصاحب الموسوي

مشـــرق في الخيـــال صبح محياك فظل المنى وريف حبيب
والاغـــاني تجري موجات عطر كلما تسأل الظنون تجيب
راكض من مضاب روحك اغناها رواء فكل سفح خصيب
كيف يظما ايار بين حنايـــــاك ويصبو للري وهو قريب
لاح لي شاحب الجبين كئيبا غيبت وجهه الضحوك ندوب
يحمل الدهر مثقلا بمآســـيه ويمشي وهنا وتمشي الدروب
تائهـــا في ضباب آلامك الكبرى فحينا يبدو وحينـــا يغيب
فمه يابس فيـــا عطش النبع اذا غال جانبيـــه اللهيب
كيف يظمـــا ايار يا مطر الخير ويبقى مغناك وهو جديب
كذبت مقلتاي .. انت كما انت نضير العطاء غض رطيب

●●

حمل الشاعر النبوة للارض فعـــــانى آلامها الانبيـــاء
وتمنى افقا طليق الجناحين فمدت — كما تمنى — السماء
واحب الوجود شـــوقا .. عذابا الما خالدا ، فكان الفناء
كل قلب بلا جراح هبـــاء فالليالي من الجراح تضاء
واحتشاد الآلام بين الحنـــايا نعمة الخلد نالها الشعراء
قدر المبدعين ما تشتكي منه فابدع من الاسى ما تشـــاء
لشواطيك قصة الحب والوجد وللنهر بينهـــا الاصـــداء
وحفيف النخيل بوح المعنى حين تغشى جنانه الظلمـــاء
فحرام عليك ان تسكت الجرح ومنه الهامنا والغنـــاء
وحرام عليك ان تطلب الري لقلب يجني عليـــــه الرواء

دمشق



شعر
أحمد
السقاف

القصيدة الرائعة التي القاها الشاعر الاستاذ احمد السقاف في مهرجان الشعر العاشر الذي احياه مؤتمر الادباء العرب الثامن في دمشق، في اواسط شهر كانون الاول ١٩٧١.
وشاعرنا كان قد ترأس وفد ادباء الكويت في المؤتمر المذكور .

(البيان)

●●

صمودك فخر تحدى المفاخر ... وايمانك الصلب هز المشاعر
دمشق اليك تحن النفو ... س وبالفوطتين تقر النواظر
وتاريخك الضخم ملء العيو ... ن له ضجة في جميع الحواضر
وقفت كهانوي رغم الصعا ... ب واعددت للثار مليون ثائر
وكيف وفيك اباء الوليد ... ومن عبد شمس لديك اواصر

●●

دمشق قدمت الى المهرجان ... بفكر مهيض الجناحين حائر
اردد كيف يزف القريض ... اليك وفيك الفحول العباقر
ومن كل حي تطل الفنون ... وفي كل بيت اديب وشاعر

●●

دمشق عثرنا فكان العقاب ... كما كان منذ السنين الغوابر
فلم يدفع المجد عنا الهوان ... ولا عصفت بالعدو المنابر
الا جولة تسحق الغاصبين ... وتجتاح ما شيدوا من دساكر
والا فنحن ادعاء كذوب ... يعيش على مجد اهل المقابر
هم العرب كم شيدوا من على ... وكم خلدوا من عظيم المآثر
وكم ارخصوا النفس عند النزال ... وذادوا عن الدين مثل القساور
ولم يكن الدين غير الجهاد ... وما كان بهرجة او مظاهر

●●

دمشق ايا بسمة في الشفاه ... ويا املا تجتليه الخواطر
لك الله صوتا اذا ما دعوت ... تنادت تلبيك كل الحناجر
عرفناك رائدة في الفداء ... وعاصفة في اقتحام المخاطر
فهبي فابطالنا في القناة ... وللثار احرارنا والحرائر
ولا تحفلي ان تخلف قوم ... وناموا بلا نخوة او ضمائر
ففي الفجر نور كما تشتهين ... وفي الفجر يمحو السناء الدياجر

●●

دمشق عثرنا فصار البغاث ... نسورا تبز الطيور الكواسر
ففي الشط راياتهم خافقات ... وفي البحر اسطولهم والعساكر
وكسرى بايوانه المرمري ... يجدد امجاد ماضي الاكاسر
ولم يبق بعد مصاب الخليج ... حديث لامعة او مكابر
لقد بان ما ظل تحت الغطاء ... واطماعهم قد تبدت فواغر
وقد جحدوا الدين واستنكروه ... وخانوا تعاليمه والشعائر
ولسنا برغم نزيف الجراح ... سوى الموت عند صليل البواتر
سوى النار تلتهم المعتدين ... وتودي بكل حقود وغادر
ومهما دجا الليل يبقى الصمود ... ويبقى النضال وتبقى المفاخر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إيليا أبو ماضى



بين التشاؤم والتفاؤل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الدكتور طه حسين : « إن أبا ماضى يذهب فى تصوير أفكاره مذهب أبى العلاء ، والخيام ، وشوبنهور ، وغيرهم من المتشائمين ، ولا يكاد يأتى بمعنى لم يسبقوه إليه ، ولكنك مع ذلك تقرؤه فلا تحس فيه أخذا ، ولا تتأذى فيه بالتقليد » .

ولا شك أن أبا ماضى قد تأثر بأبى العلاء ، فهو قد عرفه ، وعارض بعض قصائده ، وتشبع فى فترات حياته بروحه ، ولعل أبياته التى بعنوان « رأى الاكثرية » تذكرنا بروح أبى العلاء :

لما سألت عن الحقيقة قيل لى
الحق ما اتفق السواد عليه
فعجبت كيف ذبحت ثورى فى الضحا
والهند ساجدة هناك لديه
نرضى بحكم الأكثرية مثلما
يرضى الوليد الظلم من أبويه
إما لغنم يرتضيه منهما
أو خيفة من أن يساء إليه

وهذه الأبيات ترينا مدى تأثر أبى ماضى بأبى العلاء فى الاستقلال الفكرى ، والاعتزاز بالفردية ...

والمعتقد أن مبعث التشاؤم عند أبى العلاء هو نفس مبعثه عند ابى ماضى ، فالحيرة والجبرية هما مبعث التشاؤم عند رهين المحبسين ، فقد أحس بحرمانه من نعم كثيرة ، منحت لغيره ، ممن هم أقل منه ذكاء وفطنة ، فأصابته حيرة ، وعم به يأس ، وانتهى به الأمر إلى أن العبد فى الحياة مسير لا مخير ، لا يستطيع أن يفسر ما يراه ، ولا يمكنه أن يغيره .

وهذه الحيرة ، وتلك الجبرية هما من عوامل التشاؤم عند أبى ماضى كذلك . . ولكن حيرة « إيليا » من نوع آخر ، فهى بجانب كونها حيرة العجز عن حل ألغاز الوجود وفهم أسراره فهى أيضاً حيرة من يحس بتناقض الحياة ، وانعكاس أوضاعها ، وانقلاب كل شىء فيها ، وعدم وجود ضابط يحكمها وعدم استطاعته عمل شىء إزاء هذا التناقض ، فحينما يحرص المرء على ملذاته ، لينسى همومه ينعته الناس بالإثم والفسوق ، وحينما يحتقر الحياة ، ويفضل الموت عليها يقولون : إن هذا منكر عظيم .. إذن فلنمض مجبرين غير مخيرين :

إذا جدفت جوزيت على التجديف بالنار
وإن أحييت عيّرت من الجارة والجار

وإن قامـــرت أو راهنـــت فـــى النـــادى أو الـــدار
فأنت الرجـــل الآثم ، عنـــد النـــاس والبـــارى!

•• •• ••

وإن قلـــت : إذن فالعيشـــ أوزار بـــأوزار
وأن المـــوت أشهـــى لـــى ، إذا لـــم أقض أوطارى
وأســـرعت إلـــى الســـيف أوالســـم أو النـــار
لـكى تخـــرج مـــن دنيـــا ، ذووهـــا غـــير أحرار
فهـــذا المنكـــر الأعظـــم فـــى ســـر وإضمـــار
إذن فاحـــي ، ومـــت كالنـــاس عبـــداً غـــير مختـــار !

وهو يشاءم من الناس ، ويظهر مكرهم وختلهم وغدرهـم فيقول :

ومـــا النـــاس إلا عبيـــد القـــوي
فكـــن ذاك ، أو كن بـــلا شـــاكـــر
أشـــدّ مـــن الدهـــر مكـــرا بنـــوه
فـــويـــل لمـــن ليـــس بالمـــاكـــر
فـــكن بينهـــم خـــاتـــلا غـــادرا
ولا تشـــك الغـــدر مـــن غـــادر

وفى قصيدة أخرى عنوانها « الإنسان والدين » يحمل الشاعر على « الإنسان » وتقلبه ، وتعوده على الشر ، ويدعو إلى الحذر منه ، ويتعته دائما بالظلم إذا عزّ ، وبالغدر إذا ضعف أو هان :

إنـــى عرفـــت مـــن الإنســـان مـــا كانـــا
فلـــت أحمـــد بعـــد اليـــوم إنســـانـــا
بلوتـــه ، وهـــو مشتـــد القوى أســـدا
صعـــب المراس ، وعنـــد الضعـــف ثعبانـــا
تعـــود الشـــر حـــتى لـــو نبـــت يـــده
عنـــه إلـــى الخـــير سهـــوا بـــات حـــرانـــا!
خفـــه قديرا ، وخفـــه لا اقتـــدار لـــه
فالظلـــم والغـــدر إمّـــا عـــز أو هـــانـــا !

ثم يقـــول :

قـــالـــوا : ترقـــى ســـليـــل الطـــين ، قلت لهـــم
الآن تـــم شقـــاء العـــالـــم الآنـــا
إن الحـــديـــد إذا مـــا لان صار مـــدى
فـــكـــن عـــلى حـــذر منـــه إذا لانـــا

وفى قصيدته الشهيرة « لم أجد أحداً » يظهر تشاؤمه فى قسوته على الناس ، حيث لا صديق فيهم يدوم وفاؤه ، أو يصدق حبه :

وقـــع الخطـــوب عـــلى أحـــرسنى
وكـــذا العـــواصـــف تـــكـــت الغـــردا
عمـــرو صـــديـــق كـــان يحلـــف لـــى
إن نحـــت نـــاح ، وإن شـــدوت شـــدا
وإذا مشيـــت إلـــى المنـــون مشـــى
وإذا قعـــدت لحـــاجـــة قعـــدا
صـــدقتـــه ، فجعلتـــه عضـــدى
وأقمـــت مـــن نفـــسى لـــه عضـــدا
لـكـــنـــى لمـــا مـــددت يـــدى
وأدرت طـــرفـــى لـــم أجـــد أحـــدا !

ثم هو يتقم على النساء ، حيث أخلص لمحبوبته التى رمز لها باسم « هنـــد » وكان من أجلها يطأ الأفاعى ! ، ويجسّ المُدى بيديه ، ويعتبرها معبودته ، ويسترسل فى وصف لقائهما فى كنف الطبيعة الساحرة ، وأخيرا :

قـــد كاشفتـــنى الحـــب مقـــتربـــا
وشـــكـــت إلـــىّ الشـــوق مبتعـــدا !
لـكـــنـــى لمـــا مـــددت يـــدى
وأدرت طـــرفـــى لـــم أجـــد احـــدا !

وماذا من قومه ؟ من أهله الذين عاهدوه على الوقوف بجانبه ، ومنّوه بأعز الأمانى ، فلما مدّ يده لم يجد من عهودهم ووعودهم إلا السراب الخداع ؟. بل هدّدوه وأوشكوا أن يقتلوه :

أرتـــاع إن أبصـــرت واحـــدهـــم
ذعـــر الشـــويهة أبصـــرت أســـدا

بقلم : محمود سُلطان

وإذا رعـــدت رعـــدت مضـــطـــربـــا
وإذا صحـــوت صحـــوت مرتعـــدا
لـكـــنـــى لمـــا مـــددت يـــدى
وأدرت طـــرفـــى لـــم أجـــد أحـــدا !

ثم يبلغ يأسه من الناس ذروته عندما يتمنى أن لم يعرف أحدا :

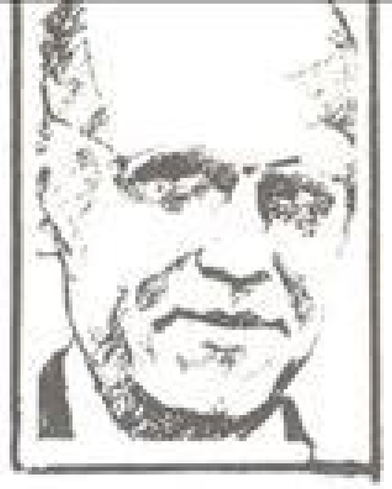
لا تذكـــروهـــم لـــى ، وإن ســـألـــوا
لا تذكـــرونـــى عنـــدهـــم أبـــدا
لا يمـــلأ الـــربال واحـــدهـــم
ولـــه وعـــود تمـــلأ البـــلـــدا
يا ليتـــنى ضيعـــت معـــرفـــتى
مـــن قبـــل أعـــرف منهـــم أحـــدا

وفى قصيدة « مصرع القمر » يبلغ به التشاؤم واليأس حدّ تمنى الموت :

صـــرت فـــى هـــذه الحيـــاة غـــريبـــا
ليـــت مهـــدى الطـــويـــل كان رقـــادا

وهو يشكو زمانه المستبد الجانى ، الذى نال منه مناه ، ولم يتح له أن ينال هو شيئا :

نـــال مـــنى الـــزمـــان مـــا يتمـــنى
وأبـــى أن أنـــال منـــه مـــرادا
وتجـــنى ما شـــاء أن يتجـــنى
واستبـــدت صـــروفـــه استبـــدادا



ايليا ابوماضى

أما حظه فيراه حالكا شديد الظلمة ، كالليل البهيم !

فى جنح ليل حالك فاحم
كأن حظى قد من جلده

ثم يقول فى موضع آخر :

فى جنح ليل مثل حظى حالك
كالبحر ساج . . . مقفر كالفدفد

ثم يخاطب صديقته ، فيشكو لها الناس ، بل يشكو لها قريحته الشعرية وقد جفت ، فهو ظامىء شديد الظمأ ، كما يشكو سهده وبلواه ، والنار التى تأكل كبده ، وهو حائر بين خوفه على أحشائه أن تأكلها النار إذا كتم شكواه ، وبين خشيته أن يشمت حساده إن جأر بالشكوى :

أو ما ترينى عندما اشتد الدجى
واشتد دائى ، نام عنى عوّدى
حتى لقد كاد القريض يعقنى
ويصون عنى ماءه ، وأنا الصدى
أمسى أهم به ، ويظلع خاطرى
فكأننا أنا ماتح من جلمد
لا تأليننى : لم سهدت ؟ فإننى
لو كان فى وسعى الكرى لم أسهد
صرفت يد البلوى يدى عن أمرها
ما خلت أمرى قط يخرج من يدى
فى أضلعى نار أذابت أضلعى
ومشت إلى كبدى ، ولما تخمد
أخشى على الأحشاء من كتمانها
وأخاف أن أشكو ، فيشمت حسدى !

وهو يشكو الأوضاع المقلوبة ، التى تحرم الناس حقوقهم ، وتقدم من يستحق التأخير ، وتؤخر من هو أولى بالتقديم :

يا رب خل كان دونى نهى
عجبت من نحسى ، ومن سعده

وهو متشائم من الناس ، حيث لا أمان لهم ، ويقول فى مطلع العام الميلادى الجديد : لا تغتر أيها العام بهؤلاء الذين يهللون لك ، فسوف يخلعونك كما لبسوك ، لأنهم محبون للغدر ، فكم من صديق زعم الوفاء ، فكان أمكر من الثعلب . وإنى أصحبهم مرغماً ، كالقمر الذى يصحب الظلام مكرها على الرغم منه :

ألا لا يغرك تهليلهم
وقولتهم لك : يا مرحبا
فقد لبسوك لكى يخلعوك
كما تخلع القدم الجوربا
ولوعون بالغدر من طبعهم
فمن لم يكن غادرا جربا

وكائن فى هزنى قوله
أنا خدنك الصادق المجتبى
أرافق من شكله ضيغما
يرافق من نفسه ثعلبا
هم القوم أصحبهم مكرها
كما يصحب القمر الغيهبا !

وفى قصيدته « البلبل السجين » يتحدث عن لياليه المظلمة ، التى أصابه فيها بأس قضى على رجائه ، وسهاد قرّح جفونه ، وشيب رأسه ! وتقمة على القضاء ، لأن اليوم يمرح طليقاً ، بينما البلابل تقيدها الهموم والاحزان !

ثم يحمل على « الإنسان » ويصفه بأنه شرّ من الوحوش ، وينبغى تجنبه فى كل حالاته ، والناس ليس فيهم وفي إلا الضعيف المرائى ، لأن القوي فيهم غشوم ... والوحش ناب ، والناس أنياب من حديد ، فلولا ظلمهم ما قامت الحروب ، وما أريقت الدماء ! .

ثم ينعتهم بأحقر النعوت ، فالداعي فيهم إلى العدوان والظلم لا يغيب مساءه ، بينما الناصح الحكيم لا يجد آذانا صاغية ملبية ! الظلم طبيعة فى الناس ، ومقاييسهم شديدة الجور ، فالمدافع عن وطنه ، الذائد عن حريته جزاؤه الموت لا محالة ، بينما سافكو الدماء يعتبرون قادة أفذاذا ، والمجرمون يعتبرون فاتحين عظماء :

لو لم يك الظلم فى الطبائع
ما استنصر العاجز العداله
لو عدلت فيهم الشرائع
ما استحدثوا للقتال آله
عجبت للقاتل المدافع
جزاؤه الموت لا محالة
لكنما سافكو الدماء
يوم الوغى قادة قروم !!

والقصيدة كلها نقمة شديدة على الإنسان ، ونظرة قاتمة إليه ، ويأس من تحقيق الخير على يديه ، ومثال على تشاؤم ظاهر فى شعر أبى ماضى .

* * * *

ولكن الجدير بالملاحظة أن هناك فرقا بين تشاؤم أبى ماضى ، وتشاؤم أبى العلاء ، من حيث الاتجاه الذى دفع إليه تشاؤم كل منهما ، فتشاؤم أبى العلاء دفعه إلى فكرة تمجيد الله ، يهرع إليه ، كلما ضاقت فى وجهه الحياة ، بينما تشاؤم أبى ماضى دفعه إلى الاستمتاع باللذائذ ، وإلى تأمل الطبيعة ، واللجوء إليها ، والتماس السكينة فى كنفها .

وفضلا عن ذلك فإن الحيرة والقلق اللذين كانا من عوامل

تشاؤم أبى العلاء وأبى ماضى اتجها أخيراً بأبى ماضى إلى طريق مخالف لطريق أبى العلاء .لقد دفعا إيليا بعد هذا التشاؤم إلى طريق التفاؤل ، وكأنه — كما يقول الدكتور شوقى ضيف :— « لما أعياه فك طلاسم هذا الوجود رأى أن يزيح أثقال جهله وحيرته عن صدره بكئوس التفاؤل الشفافة ، فهى التى تخدّر حواسه ، وتنيم قلقه ، وتريحه ، لا من التفكير فى طلاسم الوجود والحياة والفناء فحسب ، بل أيضا من التفكير فى كل ما يجلل الحياة من بؤس وشقاء وحزن وألم » .

ويختلف تشاؤم أبى ماضى كذلك عن تشاؤم شوبنهور لأن تشاؤم الأخير مذهب فلسفىّ ثابت ، يتجه دائما إلى أن الحياة كلها شرّ ، وخيرها زيف ... أما تشاؤم إيليا فغير ثابت ، بل هو قد مُنى به فى فترة ، وسرعان ما تغلب عليه التفاؤل ، والنظرة الباسمة.

ولعل تشاؤم أبى ماضى أيضاً كان تأثر كذلك بنزعة « جبران » الرومانسية ، فقد كان « جبران » شاعرا مثقفا رسّاما ، عارفا بالآداب الغربية ، وقصيدة « المواكب » تعتبر من أبرز إنتاجه الشعرى ، بل من أبرز الشعر المهجرى جميعه . وهو فيها ناقم على الحياة وقوانينها وشرائعها ، ويطلب من الناس أن يفرّوا من آلام الحياة فى المدينة إلى الطبيعة وإلى الغاب ، حيث البساطة والبعد عن هذه الآلام .

ورأينا هذه الروح الرومانسية تسرى فى شعراء « الرابطة القلمية » ومن بينهم أبو ماضى ، ويسرى معهما هذا الاحساس العميق بآلام الحياة الإنسانية ، وهذا التفكير فى حقائقها المظلمة الباعثة على اليأس ... فهم يتأملون الطبيعة ، وما وراء الحياة ، باحثين عن روح الوجود وحقيقته ، والقلق يملأ نفوسهم والحيرة تسيطر على أحاسهم .

ولكن أبا ماضى فى تأثره بهذه الرومانسية عند جبران لم يجرفى الشوط الى نهايته ،وربما يرجع ذلك إلى وراثةعن أبيه الذى وصفه لنا فى رثائه بأنه كان مرحا بشوشا ، ، يحب الحياة الباسمة الناعمة :

وكنت ترى الدنيا بغير بشاشة
كأرض بلا ماء ، وصوت بلا لحن

وربما يرجع ذلك أيضاً إلى أن حياته لم تكن صعبة شديدة ، ولم تعصف بقلبه — بصفه مستمرة — تلك العواصف التشاؤمية القوية التى نجدها عند جبران .

أضف إلى ذلك أن إرادة الحياة عند أبى ماضى كانت قوية ، فلم تؤثر فيها هذه النزعة التشاؤمية تأثيرا عميقاً ، ولذلك رأيناه فى صراع نفسىّ بين الاحساس بهموم الحياة ، وبين الاحساس بمتعها ... إنه ينجذب أحيانا صوب هذه النزعة التشاؤمية الجبرانية ، فيشعر بالألم الإنسانى ، ولكن لا يلبث أن يرتد إلى تفاؤله ، ذلك التفاؤل الذى يزخر بفكر عميق !

• • • •

ومن هنا رأينا أبا ماضى قد جمع بين نزعة التشاؤم لدى جبران وبين نزعة التفاؤل ، ومحبة الحياة ، والتمتع بلذائذها .

ومن هنا أيضا رأينا تفاؤل أبى ماضى ذا ثراء فى معانيه وأحاسيسه ، فهو ليس تفاؤل السطحيين ، ولكن تفاؤل الفكر المتأنى العميق !

ولكن أى النزعتين تغلبت على أبى ماضى ؟ ... أهى نزعة التشاؤم التى ظلت تلازم جبران ، أم هى نزعة التفاؤل المليئة بحب الحياة ، وبالأمل والإشراق ؟

الملاحظ أن النزعة التشاؤمية استبدت بأبى ماضى ، فى بدء حياته ، وقبل أن تتبلور أفكاره الذاتية ، وتتضح فلسفته الخاصة ، فهذه الشواهد التى ذكرتها ، والتى ظهرت من خلالها نزعته التشاؤمية لم تتعد ديوانه الأول « تذكار الماضى » وديوانه الثانى (ديوان إيليا — الجزء الثانى) ... ثم اتجه بعد ذلك صوب طريق التفاؤل ، بكل ما فيه من دعوة للابتسام والإشراق والنظر إلى الحياة نظرات كلها رجاء بهيج ، وأمل بسام !

ولم يحو شعره بعد ذلك فى دواوينه الثلاثة الأخيرة : الجداول ، والخمائل ، وتبر وتراب ، أية مقطوعة تشاؤمية ، تنم عن هذه النزعة ، أو تبين أصالتها فى نفسه ، اللهم إلا قصيدة واحدة ، وهى قصيدة « يا نفس » فى ديوان « الخمائل » وهى من شعره الفلسفى التأملى ، وليس فيها تشاؤم من الحياة بقدر ما فيها من نظرة عميقة إزاء ما يراه. فكل شىء نهايته موت وكل جمال وبهجة نهايتهما فناء .

وعلى الرغم من ذلك فهو يعاتب نفسه ، لأنها انحرفت عن طريقها التفاؤلى ، وضيعت اللذات قبل ضياعها ، وكان مقياسها مخالفاً لكل مقاييس الناس ، مع أنه فرد منهم :

مسخت فى عينى ضوء النهار
لما لمحت الليل بالمرصد
ومات فى أذنىّ لحن الهزار
لما سبقت الصمت للمنشد
فررت باللذات قبل الفرار
فضاع يومى حائرا فى غدى
خالفت مقياس الورى أجمعين
فكيف يرضون بمقياسى ؟
ما برح الناس كما تعلمين
ولم أزل فردا من الناس !

فهذا شعر من قبيل الصراع النفسى ، وليس من قبيل التشاؤم المحض .. !

الكويت محمود سلطان

●●●



آلام الزمن الصعب



شعر
فيصل السعد



بقلم
خليفة الوقيان

« قد يجد القارىء خيطاً سوداوياً يشد قصائد هـذا الديوان. وقد يتساءل عن علامة السوداوية بالدعوة الى تنقية اصواتنا من اجل خوض المعركة المقبلة .

«السوداوية هنا لا تعني اليأس . والبكاء من اوجاع زمن معين ، اهدف من وراثه الى الالتصاق بمسببات البكاء ، من اجل ابقائها في ذاكرتي ومخاشيها في المستقبل . . » .

اذن فالبكاء من آلام زمن بذاته ليس بالضرورة موقفاً سلبياً ، نعلن من خلاله عن سقوطنا أو تراجعنا عن المواجهة . وما يعتبره بعضهم سوداوية قد لا يكون غير صوت الضمير البعيد عن الرقابة في ترجمة الواقع بكل سلبياته .

اننا لانستطيع ان ننكر لون جلباب الليل وان رصعته المصابيح من كل جانب . لهذا فلا حرج في أن نهدف من البكاء الى « الالتصاق بمسبباته » كما نهدف مما قد يسمى سوداوية الى « تنقية اصواتنا » . وليس بغير الطرق المتصل على الابواب يستيقظ الراقدون، وان كانت اصواتنا تؤذي الاخرين أحيانا ، وتعكر عليهم الصفو والاستمتاع بسماع المقطوعات الكلاسيكية في سهراتهم الحالمة .

ان هدم ما هو قائم اكثر من ضرورة لتشييد ما نحن الى قيامه. وبغير حرث الارض حرثا جيداً وتنقية التربة من الرواسب الضارة والطفيليات ، يصعب ان نحلم بزمن الحصاد . وهل ثمة من داع لأن نغمض الاجفان كي لا نرى تلك الطفيليات :

نهشنا لحوم موتانا
كسرنا قوائم مهرنا
بعنا مسروج الامس
بعناها بلا ثمن .
وقد ملأت صحارانا
خطايانا
وظلت دورة الزمن
تداعبها رياح الزيف .

ليس هذا النغم المنبعث من صحارانا المثقلة بالخطايا مسلياً أو ممتعاً أو شائقا يعذب الاسترخاء على موجاته . ولكنه صادر عن ناي مبحوح لأحد رعاة تلك الصحراء ، وهو يتأمل رعيته ، وممتزج بثغاء الشياه التي ربما انهكها الظمأ أو آلمها جفاف المراعي .

عيبنا أنا قد نستعذب الحذر احياناً ، ربما لانه يريحنا من استكشاف كنه المجهول . لهذا حين يعتدي «نزار» مثلا على عفاف بعض المقولات التي تنتمي — في هذه اللحظة بالذات — الى غيرنا ، « الصبر ليس مفتاح الفرج » تنتفض لدى كثيرين منا نخوة فات أوانها ، وغضب في غير محله ، لن يثمر غير الفقاعات . وننسى أن « السيف مفتاح الفرج » ، وأن ما قيل ليس منكراً ، وإلا لوجب ان نكفر « ابا تمام » ، بدلا من ان نحتفل

بذكراه ، لأنه يؤمن بصدق حديث السيف وحده ، إذ لولاه لبقي العار ملتصقاً بأسوار « عمورية » وجدران منازلها ، وقباب ومآذن مساجدها .

واليوم حين تصرخ وتستنجد في الخليج ، وعلى شواطىء المتوسط وفي جهات اخرى أكثر من عمورية سنعلم ان مفتاح الصبر وأمثاله قد أكلها الصدأ حتى تهرأت أسنانها . وأننا لن نجد غير مفتاح « المعتصم » الذي يصلح لكل عصر ، لان وجوه الواقفين تبقى مضيئة أبداً :

والليل هذا قد يطول . وقد يطول
ولربما نفني بلا اسماء ان الموت داء
لكنما تبقى وجوه الواقفين مضيئة ،
لا الليل يحجبها ولا مطر الاقول
والسحب تبقى .
والسماء تنشا املا وماء .

ويبقى السؤال القديم الجديد من ذا الذي يعلق الجرس ما دمنا ندرك الحقيقة :

من يهز النخل في صدري ؟
فقد شاخت جذوعي ! !
من يقود الكف للسيف
ففي السيف رجوعي .
لوحي لي يا مناديل حبيبي
شبح ينقر دفي
وكتاب الله مغمى فوق رفي
وانا اسمع ضحكات الشياطين ،
وهزء العالم المخمور بالرعد
وفي الرعد عذابي
يا قناديل اليتامى اللاجئين
ارضكم ترجعها الثرثرة الجوفاء
والصوت المنمق
هكذا قال السلاطين
وخير الصوت — كالشيخ —
على الاعتاب مرهق .

اذن لا فائدة، ما دامت « الثرثرة الجوفاء » هي السيف الوحيد الذي غادر غمده . ولكي تسود هذه الثرثرة ، ولا يشوهها أو يشوبها نغم دخيل لا بد من ان تحرق المكتبة وا لاوراق وتكسر الاقلام الاخرى :

يا بعض اطلالي وصمتي . . يا حبيبه
أو تعلمين بأن سجاني اراد
شراء مكتبتي وبيتي .

وأيا كان معنى شراء المكتبة أو مصادرتها ، أو تكسير الاقلام واراقة المداد ، فهل ذلك مما « يمنع الأيدي أن تنقش صخرا » .

هنا يكمن الاصرار على ان الفكر لا يذبح بالسكين :

ما عدت املك يا قصائد دفترا
سأخطكن على الجدار
سكبوا مدادي وسط داري
لكنهم لن يستطيعوا خنق قافية
ستكسر لي اساري .
بالدم اكتبكن
فوق وسادتي وعلى ضلوعي .

وتبقى كلمة لا . هي المنتصرة في النهاية ما دام هناك ايمان وقناعة بضرورة رفع لوائها .

يا موت لا .
يا ركلة السرطان . . لا
يا موت اين ؟ !
اني وعدت الفجر أن ألقاه .

وبعد ، فاذا كان الشاعر فيصل السعد قد بدأ سوداوي النظرة تجاه زمن « معين » حصره ضمن اطار محدد كي لا ينشاب ويسبح على الأزمنة الاخرى ، فقد حرص في النهاية على ان يرسم علامة الرفض . . لا . . ليستدل بها الستار على ذلك الزمن .

وحين تنفض خيوط الفجر الاولى تمتزج بنغمات صوت الحبيبة ويتعانق الاثنان . ويمتزجان حتى ليصعب ان نميز بين نصائحها ، والحبيبة لدى فيصل أمل له اهميته ، إذ انه يعانق بحرارة الأمل في الخلاص :

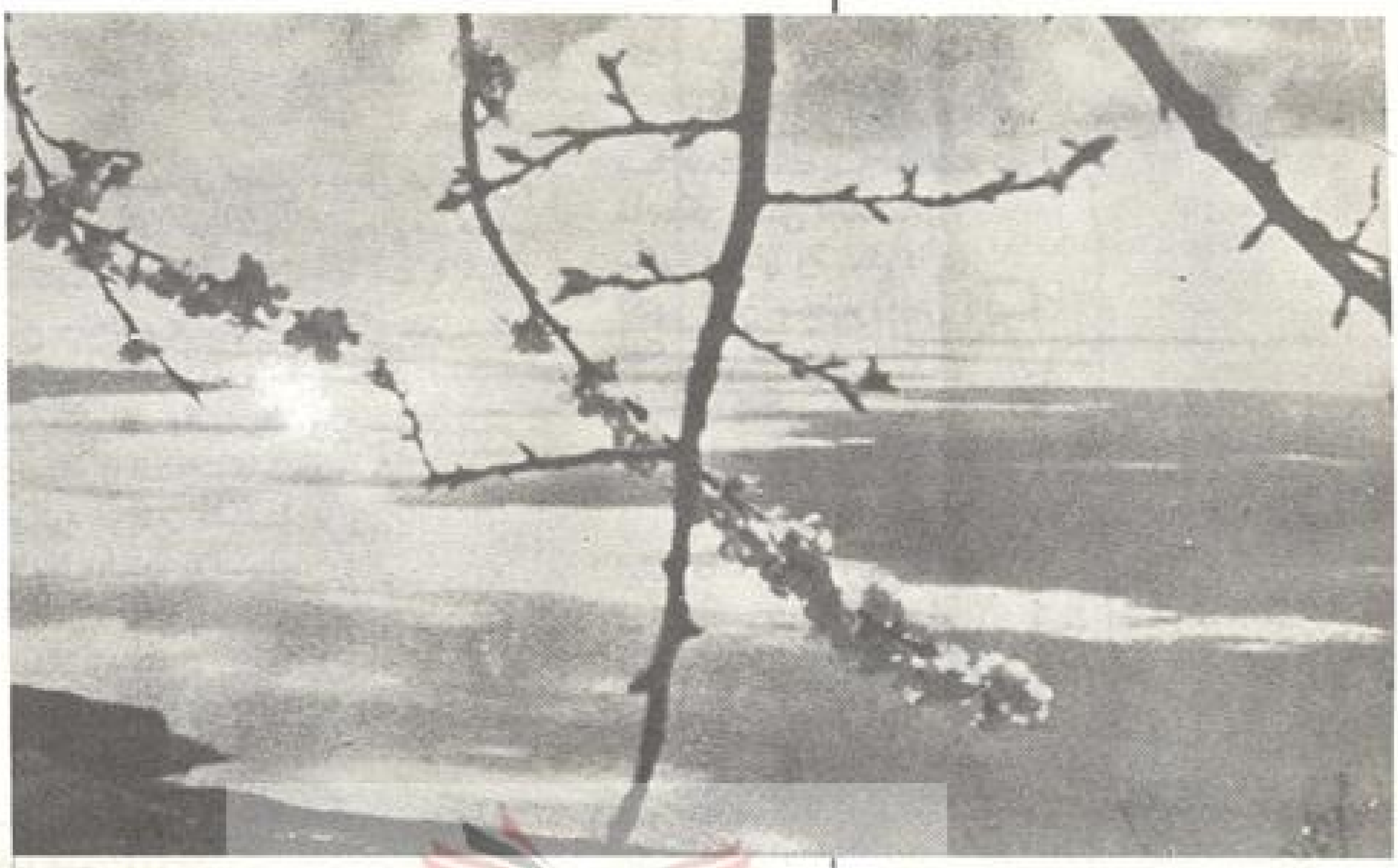
كنت والقلب على طيفك نهر
ونغني الحزن .
والشعر على اطلال نظراتك يسكر
ويكاد الزمن المعتم يخدر
عندما ينسفح الصحو ،
وتلك الغيمة السوداء تنزاح
ويأتي صوتك الحلو المعطر
يا حبيبي .
ان ذاك الثلج رغم البرد والحزن تكسر .

ان الكلمة في « آلام الزمن المعتم » تحمل زخم المعاناة الصادقة ، وتعبر بحرارة عما يحسه ذلك الجيل الذي أثقلت كاهله هذه الآلام ، ولكنه لم يطق الاستزخاء على ضفاف مستنقعات الخدر ، أو التهويم في سموات لا آفاق لها .

وما دام الثلج قد تكسر فليأذن لنا الشاعر في ان نغادر مسالك ومتعرجات عالمه قبل ان نتم هذه الرحلة التي شاء الحظ لها ان تكون خاطفة .

خليفة الوقيان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



على مشارف الصحراء

الحاني حسن عبد الله

تريدين ان ابقى رهين ابتسامة ... ونظرة اشفاق ، وقبلة معجل
اراود فقرا لا يبوح بهمسة ... اتوق لها توق الشريد لموئل
تغارتها حتى كرهت تهانتي ... وايلامة الحرمان بعد التسول
وتغضين خجلى اذ ترين تأملي ... الشفاه ، وفي غير الشفاه تأملي
فان حنو الروح اول حاجتي ... وليس الذي تغضين منه بأول
تحبين حبي ، لا تحبين نفسوه ... وتأبين مني بعض بعض تململ
الا كل ما تعطين ليس بنافعي ... فكل الذي تعطين حبات حنظل
امنت الى عطفي ، وانك لم تري ... سوى جدول ينهل من الف جدول
تريدين ان اقضي الحياة مؤملا ... وفي كل يوم غبت يخفق مأملي
واحلم اما جئت انا بمنزل ... اراه اذا ما قمت اطلال منزل
فأفرح حتى لا مزيد لفرحة ... واحزن حتى ليس غم بمنجل
تريدنني نجما يدور بلا ونى ... مع الفلك الراني لحسنك يجتلي
فلي منك ما تعطي المليكة اعبدا ... ولكنما قلب المليكة ليس لي
تريدين ان ابقى رهين ابتسامة ... ونظرة اشفاق ، وقبلة معجل
اصب الهوى في مسمعيك وانثنى ... ولا قطرة للظامئ المتململ
امد يدي طوعا لقيد مكبل ... وازعم ان القيد غير مكبلي
وآنف من ذل كثير يحيط بي ... وارضى بذلي فيك ، بل بتذللي
واضمر امرا ، ثم بعد هنيهة ... كأني ما اضمرت حين تهللي
تريدينني يا ربة التاج هكذا ... وكل ابتهاجي منك ان تتفضلي
اذن فاحجبي عنا ابتسامتك التي رميت بها في كل عضو ومفصل
تريدينني دمعا تحدر مرغما امامك من وجد وفرط تدلل
اذن فاهنأي بالدامعين صبابة ... سواي ، فاني قلت للعين اجملي
ويا جبل الاحزان سوف تريحني ... من الحزن صحراء بلا عذب منهل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شاعر وقصيدة ورأي ..



بقلم الدكتور
محمد حسن عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما الشاعر فهو أبو فراس الحمدانى أحد أبطال العرب وفوارسهم في القرن الرابع الهجرى . وأما القصيدة ، فهى تلك التى قالها وهو في أسر الروم ، وهى شهيرة عند دارسى الأدب ونقاده ، وقد صارت مشهورة على المستوى العام حين اختارت أم كلثوم أبياتا منها وغنتها . فقد عرفنا الآن أنها القصيدة التى مطلعها :

أراك عصيّ الدّمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهي عليك ولا أمر

أما الرأي الجديد الذى نسوقه حيال هذه القصيدة القديمة ، فإننا ندخره إلى آخر المقال حتى نتعرف على القصيدة ذاتها .

الشاعر :

هو الحارث بن سعيد بن حمدان ، وكنيته : أبو فراس ، أى الأسد ، وهو عربى تغلبى ، ولد في الموصل ، في تلك الفترة التى حمل فيها آل حمدان عبء السيطرة على منطقة حلب ، ومن ثم حماية الجبهة الغربية من دولة الخلافة أمام هجمات الروم . وقد قتل أبوه وعمره ثلاث سنوات . فرعته امه وعطف عليه ابن عمه سيف الدولة ، فنشأ في رحابه بطلا يجد حياته في خوض المعارك ويتكدر إذا لم يصحبه ابن عمه إلى الحرب .

وقد وقع شاعرنا الفارس في أسر الروم ، مرة أو مرتين على خلاف بين مؤرخيه ، وقال في الأسر أروع قصائده المعروفة بالروميات ، ولكن الذى لا خلاف عليه أن سيف الدولة أبطأ في مفاداته ، حتى قيل إنه بقى في الأسر سبع سنين . فكيف تأخر استفادة ابن عمه وقائده ؟ هل هناك سبب سياسى خفى دعا إلى ترك أبى فراس في القسطنطينية سبعة أعوام ؟ أو أن الروم قد تشددوا في طلب الفدية من مال ورجال أو أرض أو شروط تعاهد لما يعرفون من قيمة أسيرهم ومنزلته في نفس أمير الدولة ؟ أو أنه الداء القديم الجديد من تنازع السلطات والطمع في السلطان والرغبة في الملك ؟

ربما كان أحد هذه الأسباب ، ولا ينفى أن تكون جميعها سببا في هذا التباطؤ الغريب في افتداء أبى فراس من الأسر .

الاسلام وأخلاق الفرسان :

وأبو فراس يأخذ مكانه بين الشعراء الفرسان ، وهذا النوع من الشعراء تختلف تجاربه بالضرورة عن تجارب غيره من الشعراء الذين لا يتميزون بالبطولة . ولا نقصد بالفرق بين الفريقين أن الشعراء الفرسان يتحدثون عن البطولة والشجاعة في المعارك وأن غيرهم يتحدثون أو يؤثرون تجارب مختلفة النوع والمرمى ، لأن هذا الفريق الأخير من الشعراء يستطيع أيضا أن يتحدث عن البطولة والشجاعة وأن يصف المعارك . فالشاعر الفارس لا تعنى الشاعر المتحدث عن البطولة ، بل لا تعنى الشاعر الشجاع فقط ، وإنما تعنى — إلى ذلك — كثيراً من الخصائص النفسية ، في قمتها العفة الأخلاقية وبخاصة تجاه المرأة والضعفاء ، والنبل والتسامى عن الدناءة والتعلق بالمثل العليا والإيثار والرغبة في نفع الآخرين ، إلى جانب

هذه البطولة التى هى المنطلق في تكوين شخصيته .

وقد عـرف العصر الجاهلى الكثير من الشعراء الفرسان ، وقصائدهم مروية إلى اليوم ، تصور بطولتهم وعظمة أخـلاقهم ، وإن اختلفت مواقفهم من المرأة تبعا لاتجاهات الاخلاق العامة في ذلك العصر البعيد ، فمنهم من غلبته حسيته ، ومنهم من سـما بموقفه ، ولكن الإنسان الجاهلى — بصفة عامة — كان يخـاف المرأة — منها وعليها — لدرجة أن يئدها وهى طفلة ، فإذا كبرت فإنه كان يدفع حياته ثمناً لحمايتها ، ويجعل حياتها هى ثمنا لزلتها ، وهذا بدوره جعل المرأة شديدة الشعور بنفسها ، بعيدة عن كل ما ينال من مكانتها .

وقد جاء الاسلام فأعلى من مكانة المرأة حين أعتبرها شخصا مستقلا له حقوق وعليه تبعات ، كما أعلى الاسلام من شأن العفـة والتصون الاخلاقي ، فمن مات دون عرضه فهو شهيد ، ومن أحب وعف وكتم ومات فهو شهيد ! !

وهكذا ارسيت تقاليد الفروسية العربية على أسس من الـدين والأخلاقيات الاسلامية ، فازدادت هذه التقاليد رسوخا ، وشهد العصر الأموى بالذات موجة من المحبين العذريين الذين نظروا إلى عاطفة الحب على أنها ابتلاء من الله ، واختبار أخلاقي ، وأنهـم مأجورون على حرمانهم وعفتهم ، فاستعذبوا الألم والفراق وإن أظهروا الشكوى والضجر ، ووصفوا محبوباتهم بكل صفات النبل والعفة ، ووصفوا العلاقات بينهم وبين محبوباتهم بما يجعلها علامة امتياز للجانبين ، ترفع من قدرهما في ميزان الأخلاق وفي ميزان الدين .

ولم يكن الشاعر الفارس يعتبر خضوعه لعواطفه وتغنيه بالشكوى واللوعة علامة ضعف تنال من اكتمال بطولته ، بل على العكس ، كانت شجاعته في النزال تكتمل برقته ودماثة خلقه في حبـه ، وغاية الأمر أن تقاليد الفروسية الشعرية قد رسخت واستقـرت نهائيا في ظل العقيدة الاسلامية والأخلاق الإسلامية ، وأنها استمرت كتقليد يتعلق به الشعراء الفرسان ، وأصبح الشعر الفروسى قضية فنية وعلامة نفسية وموقفا إنسانيا . . في وقت واحد .

أبو فراس الشاعر الفارس :

وهكذا سنجد أبا فراس يشكو ويبكى ويحترق في تجربتـه العاطفية :

بلى ، أنا مشتاق ، وعندى لوعة
ولكـن مثـلى لا يـذاع له سر
إذا الليل أضوانى بسطت يد الهوى
وأذللـت دمعا من خلائقه الكبر
تكاد تضيء النـار بين جوانحى
إذا هى أذكتها الصبابة والفكر
معللتى بالوصـل والمـوت دونه
إذا مت ظمـآنا فلا نزل القطر

ولكن الذل والبكاء والشكوى مما يخص تجربته العاطفيـة فحسب ، ولا ينسحب على سائر صفاته وتصرفاته فهنا يعـترف بالشوق واللوعة ، ويحاول أن يكتم أمره كبرياء ، ولكنه في الليل ، حين يواجه نفسه ، تخونه دموعه ، وتتأجج النيران في صدره ، وتنوشه أفكاره . . ويبدو يائسا في حبه حتى الموت ، ولكنه لا يشعر بأى تناقض حين يتحدث عن شجاعته في قيادة الكتـائب ، وكيف يسير النصر في ركابه ، وكيف ينزل بالأرض التى يهابهـا الآخرون ، وكيف يصبر على مشقات الحياة والقتال حتى ينال النصر الذى يبغى ، فترتوى السيوف والرماح ، وتأكل جوارح الطير وكواسر الصحراء من أجساد الضحايا :

وإنى لجـرار لـكل كتيبـة
معودة ألا يخـل بهـا النـصر
وإنى لـنزال بـكل مخـوفـة
كثير إلى نزالهـا النظر الشزر
فاظمأ حتى ترتوى البيض والقنا
وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ثم تأتى أوصاف الحبيبة ، وسنجد أنها أوصاف نفسية ومعنوية ، لا تتحدث عن الجمال الحسى ، بقدر ما تتحدث عن صفات وأخلاق وسلوك ، وهى جميعا مما يرفع من شأن المرأة ويعلى من مكانتهـا ، ويأتى فخر الشاعر بنفسه متلاحما مع فخره المغلف الضمنى بحبيبته ، فهو شجاع وكريم قنوع ، ولكن أهم صفاته هى العفة :

وساحبة الأذيال نحوى لقيتهـا
فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعـر
وهبت لها ما حازه الجيش كله
ورحت ولم يكشف لأبياتها ستر

وهكـذا يتأصل إدراكنـا لهذه القصيدة في إطار تقاليد الشـعر الفروسى ، إذ نجدها تستهدى المبـادىء الفنية والأخلاقية لهـذا الشعر .

المـأزق . . والغـزل

ولكن هذه القصيدة قيلت في ظرف خاص ، هو ما عبرنا عنه بالمأزق ، ذلك أن الشاعر قالها وهو في أسر الروم ، يروم الخلاص الذى يتأبى عليه في جانب ، ويقلب نظره في ماضيه وما آل إليـه أمره في الجانب الآخر ، ولهذا غلب الحزن على تجربته هـذه ، وشغله الدفاع عن موقفه أكثر مما شغله التغنى ببطولته ، وهنـا نستطيع أن نلحظ امتزاج التجربة الشخصية بالتجربة الموضوعية في عمل فنى واحد . فهذا الشاعر حين أبدع قصيدته كان يضع نصب عينيه تجارب الشعراء الفرسان وتقاليدهم الشعرية ، ولكنه أيضا — وبالاضافة إلى ذلك — كان ينطلق من إحساس شخصى وإدراك مباشر .

ولكن هذا الحزن الواضح في تجربته العاطفية ، أو في أبيـات الغزل الطويلة نسبيا التى تتصدر القصيدة ، لن يحول دون التفاتنا إلى مغزى وجود هذه الابيات وطولهـا وعلاقة ذلك بتجربة الأسر والألم لطوله ، والفداء والحلم بالحرية ، والعتاب للأصدقاء ولومهم والاعتذار — في النهاية — عن استسلامه لعدوه ووقوعه في الأسر .

في الأبيات الخمسة والعشرين الأولى وقفة طويلة . يلقى فيها

الشاعر ظلالا متنوعة على الجانب العاطفي من تجربته كمحب فارس ، يخضع ويذل في جانب ، ويتأبى ويعز في جانب آخر دون تناقض . ويأتى وصفه لمحبوبته من خلال إحساسه هو بها ، ولا يكاد يصفها هى إلا في عبارات قصيرة ، فهو عصى الدمع ، شيمته الصبر ، رفيع القدر لا يذاع له سر ، ومن خلائقه الكبر ، وأنه مشهور لا ينكر ، ومع ذلك فإنه يخضع لعواطفه ، في قلبه لوعة ، إذا تملكه الهوى سالت دموعه وأضاءت النار بين جوانحه ، ولا يرى عيبا في أن يعلن أن سعادته وشقاءه مرتبطان بالقبول أو الجفاء من هذه المحبوبة ، فإذا استمعت إلى الواشين أو هجرته أو تناولت عاطفته نحوها بغير ما تستحق من الجلال عذبه ذلك ، بل أوشك أن يقضى عليه . ولم يضن الشاعر على نفسه بصفات السيادة والحب الشريف ، فهو لا يستمع للوشاة ، ويتمتع بخليقة الوفاء ويحفظ العهد . ويمنح الشاعر محبوبته مثل تلك الصفات ، فهى من شيمتها الطهر ، ويعبر عن ذلك بوصفها بالغدر ، فهذا مدح بما يشبه الذم ، فهى غادرة بمعنى أنها لا تستجيب للراغبين ، كما يصفها بالوقار ، ويجعلها أهلا لتعلق الكثيرين بها ، وهذا يعنى ضمنا أنها جميلة ، وأن أحدا لا يستطيع أن ينال منها منالا .

الواقع والخيال :

ولابد أن نتساءل عن هذه التجربة العاطفية الطويلة التى أخذت نصف القصيدة تقريبا ، وهل هى مستمدة من تجربة واقعية ، أو أنها مجرد خيال سار فيه الشاعر على تقاليد الشعراء الفرسان . وقبل أن ندلى برأينا نحب أن نشير إلى الحل السهل الذى يراه كثير من الباحثين ، وهو أن أبا فراس كان يهوى ابنة عمه ، وأنها المقصودة بهذا الغزل في القصيدة . ونحن نضع هذا القول موضع الشك لأسباب عديدة ، منها أن الحب وقصصه ، والعواطف الحبيبة ونوادرها تكثر على ألسنة الرواة لتفسير الجوانب العاطفية والحوادث الغامضة في التاريخ الأدبى بصفة خاصة ، وتنتشر من خلالهم بتقبل الدارسين لها دون تمحيص ، ونذكر هنا على سبيل المثال : قصة غرام امرىء القيس بابنة قيصر الروم ، وغرام النابغة الذبيانى بزوجة ممدوحه النعمان بن المنذر وتغزله فيها ، وعلاقة الحب — أو الزواج — بين جعفر البرمكى والعباسة أخت الرشيد ، وحب المتنبي لأخت ممدوحه سيف الدولة ! ! !

نحن لا ننكر على الشعراء أن يحبوا ، وأن يطمحوا إلى حب من يرتفعون عنهم قدرا في المجتمع ، وأن يقال في ذلك شعر كثير ، ولكن حين يساق ذلك الأمر كتبرير لاضطراب العلاقة بين شاعر وحاكم فمن حقنا أن نقول إن العلاقة بين شاعر وحاكم لا مفر من أن تضطرب في مجتمع كان الحاكم فيه هو الركيزة الوحيدة لحياة الشاعر وشهرته إن لم يكن لوجوده أساساً ، إذ لا مفر من اشتعال نار الحسد والتنافس بين الشعراء ، ومثل ذلك يمكن أن يقال عن الأعوان والوزراء ! !

من حقنا إذن أن نحتاط في تقبل القول بأن غزل أبى فراس إنما هو في ابنة عمه ، فربما لا يشرفها مطلقاً أن تقول له — كما شاءت وشاء لها الهوى — إن قتلاها في الحب كثيرون ! !

وبالاحتكام إلى مقياس فنى خالص سنجد أن الصفات التى وصفت بها المحبوبة في هذه المقدمة الطويلة لا تدل في حقيقتها على امرأة بعينها ، متميزة بخصائص وخصال تفصلها وتحددها عن غيرها من جنس النساء . هى صفات عامة رددها الشعراء قبل ابي فراس وبعده ايضا دون ان تدل على واقعية التجربة العاطفية . بل ان من الشعراء الذين عرفوا بالغزل الجيد من اعترف بأنه لم يحب قط ، وإذن فالأمر لا يعدو — عنده — أن يكون تجربة ذهنية يستمد فيها الشاعر صوره الشعرية وموضوعه من قاموسه الخاص الذى كونه من قراءاته في أشعار السابقين ، على نحو يذكرنا كثيرا بصنيع شعراء الدراما الكلاسيكية حين كانوا يلجأون إلى الصيغ والصفات والقوالب المأثورة ، ويتوقف دورهم الإبداعى عند ملئها بعبارات رائقة ونظرات تحليلية صائبة .

لقد وصف أبو فراس محبوبته بأنها جميلة وأمينة على نفسها ومحبوبة من ناس كثر ، وتتمتع بشىء من الوقار والسذاجة معا ، وهذه الصفات في مجموعها لا تكوّن امرأة ، ولا تميز امرأة عن أخرى في مجال التعبير الفنى ، لأن هذه الصفات قد بذلها الشعراء سهلة لمئات من النساء . وإذن يمكن أن يقال إن الشاعر قد سار فى مقدمة هذه القصيدة على التقاليد الموضوعية للشعراء الفرسان ، فبدأ متغزلا ثم انتقل إلى الفخر بنفسه ، ثم دافع عن موقفه وحرجه بالأسر ، وأنه لم يستمد أبياته في الغزل من طبيعة علاقته بابنة عمه .

ولابد أن نقرر هنا أن هناك فرقا واضحا بين انكار العلاقة في ذاتها ، وصلة هذه العلاقة بالأبيات الغزلية في مطلع القصيدة فنحن لا نناقش هل أحب الشاعر ابنة عمه أو لم يفعل ، فهذا لا يعنى دارس الأدب كثيرا ، ولكن الذى يعنينا هو صلة قصة الحب — على فرض وجودها — بالقصيدة .

وقبل أن نقدم تفسيرنا الخاص للمقدمة الغزلية في هذه القصيدة نشير إلى ما لاحظناه من أن روميات أبى فراس — أى قصائده التى قالها وهو في أسر الروم — قد خلت من الإشارة إلى قصة الحب المزعومة ، ونشير أيضا إلى ما لاحظه بعض الباحثين من تميز غزل أبى فراس بقصر النفس ، إذ لايكاد يتجاوز ما أنشأه للغزل قصدا البيتين والثلاثة غالبا ، وإن اعترف له بقصة حب — دون جزم أو تأكيد — مع ابنة ناصر الدولة ، واسمها جميلة ، وربما قال قصيدة في وداع بعض أهله الخارجات للحج ، ولعل « جميلة » هى المعنية ببعض أبياتها . ! !

أظننا الآن قد انتهينا إلى أن هذا الغزل ليس عن تجربة واقعية ، وأنه ليس في ابنة عمه ، وأنه أيضا لا يناسب الموقف من الناحية النفسية ، فشتان بين آلام الأسر وأشواق الحياة ، ولكنه قيل ، ورواه التاريخ ، ومن ثم لا مفر من البحث عن تعليل .

الرمز :

التفسير الذى نقدمه لهذه الأبيات في الغزل ، يقتضى منا أولا أن « نتنازل » فنطرح عن أنفسنا إيماننا الساذج والكسول بان الشعر العربى — القديم بخاصة — شعر سطحى ومباشر في تعابيره وتجاربه ، وأنه قليل الغور إلى أعماق النفس ، وضئيل الحظ من التعقيد الفنى ،

وأنه بذلك يعكس ملامح النفس العربية في معيشتها البسيطة والساذجة. يجب أن نطرح ذلك عن أنفسنا لأن الجمود عنده يقيد عقولنا عن الكشف والتفسير ، ويلزمنا بربط متعسف بين الحياة البسيطة والتعبير السطحي ، وليس من تلازم بينهما ، فقد كان هوميروس في عصر البساطة التي توشك أن تكون بدائية بالنسبة لحضارة الإغريق فيما تلا عصره من عصور ، ولكن أشعاره في الإلياذة والأوديسا قد انطوت على العديد والعميق من الرموز الفلسفية والتحليلات الإنسانية والمواقف النادرة التي ظلت قرونا عديدة مددا لا ينقطع للشعراء والكتاب ، وبخاصة الكلاسيكيين ثم الرمزيين من بعدهم .

إذا استطعنا أن نتخلص من أسر التفسيرات الجاهزة والمألوفة ، فإننا نرى أن أبا فراس قد عنى في هذه المقدمة الغزلية شخصا اعتباريا لا شخصا حقيقيا . وأنه آثر التعبير عن مشاعره وأفكاره ومحنته بطريق الرمز . وبذلك يكون الشخص الذي اتجه إلى الحديث عنه في البداية ، وشكا الوجد والألم والحرمان ، هذا « الشخص » الاعتباري هو « الحرية » . فقد صارت الحرية — وبخاصة بعد الأسر — الحقيقة الوحيدة التي دارت عليها ومن حولها حياته ، فهو يتعشقها ويحن إليها في سجنه ، ويستجديها الرضى ، ويذكرها بالآمال الواعدة التي خابت ، بالعهود والوعود ، ولكنها تصد وتتثاقل عنه وتتجاهله . وهذا تعبير عن حالة يأسه في سجنه الطويل!

إننا حين نقبل التفسير الرمزي لهذه المقدمة سنجد يمكننا من فهم كثير من الصفات التي أسبغت على الحبيبة الهاجرة ، ولا نجد لها مكانا لائقا في مجال التفسير المباشر ، وسنتمكن على نحو أكثر توفيقا من فهم الحوار الدائر بين الشاعر ومحبوبته ، ولنقرأ معا هذه الأبيات :

تسائلني من أنت ؟ وهي عليمة
وهل بفتى مثلي على حاله نكر ؟ !
فقلت — كما شاءت وشاء لها الهوى
قتيلك ، قالت : أيهم ؟ فهم كثر
فقلت لها : لو شئت لم تتعنتي
ولم تسألي عني وعندك لي خبر
فقالت : لقد أزرى بك الدهر بعدنا
فقلت : معاذ الله ، بل أنت لا الدهر
وما كان للأحزان لولاك مسلك
إلى القلب ، لكن الهوى للبلى جسر
وتهلك بين الهزل والجد مهجة
إذا ما عداها البين عذبها الهجر
فأيقنت الا عز بعدي لعاشق
وأن يدي مما علقت به صفر

فهنا يدور الحوار بين الشاعر وطيف الحبيب ، أو الحرية ، ويعجب كيف تنكره وتجافيه وتنسى ماضيه في رحابها ، فتسأله : من أنت ؟ ولكن هل مثل أبي فراس — على حاله في الأسر — ينكر مكانه أو تنكر مكانته ؟ ! سؤالها يتضمن معنى الإنكار والتعجب ، فهي تتظاهر بعدم معرفته لأنه — من وجهة نظرها — قد أنكرها من قبل حين استسلم لعدوه ورضي بالأسر ، ولكنه — مهما حدث له — يعرفها وقد حارب في سبيلها ، بل لقد صار إلى ما صار إليه من عذاب الأسر وذله بسبب مغامرته الخطرة من أجلها ، ولهذا يقول : أنا قتيلك ، أي ضحيتك ، ولكنها تمضي في توبيخها له بتجاهلها لمكانته ، فتقول : أي ضحية أنت ؟ فضحايا الحرية كثيرون ، بل إني أشك في أن تكون أنت منهم لأنك لم تبذل الروح فداء لي ورضيت الأسر . وهنا يفيض قلب الشاعر بالألم ، فيصفها بالتعنت ، إذ تسأله عن هويته وهي التي رأته من قبل فارسا مغوارا يدافع عنها بكل جسارته ، فتعود قائلة في اعتزاز ومراوغة وتأنيب معا : لقد أزرى بك الدهر بعدنا .. أي أهانك السجن وعصفت بك الأيام ، ولكن الشاعر ينكر أن يكون ذلك من فعل الأيام ، ويرى أن ما يتعرض له من سوء الحال إنما هو نتيجة لحرمانه منها — الحرية — فيقول : معاذ الله ، إنه فعلك أنت لا الدهر ، ولولا حرماني منك ما عرفت الأحزان سبيلها إلى قلبي ، ولكنك تعبثين بسجين لا حول



من شعر الشاعر الكويتي المرحوم

عبد اللطيف ابراهيم الخصف

عندما اطلع شاعرنا المرحوم عبداللطيف الخصف على نموذج كتاب (تاريخ الكويت) قبل طبعه ، ارسل قصيدة الى مؤلفه الشيخ عبدالعزيز الرشيد ، قال فيها :

كتابك يا ابن احمد والمعالي
لقد اروى من الصادي غليلا
كتابك زنت للآداب جيدا
به ، وحبوتنا ذكرا جميلا
.....
فتى الاصلاح كم لك من ايادٍ
تزول الصالحات ولن تزولا
.....
رفعت عن الكويت وساكنيها
من الاحمال قتالا ثقيلا
.....
ومن غير ابن احمد ان ترامت
بها الارزاء يفنيها فتيلا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

له ولا طول ، فيتجرع القلق والأمل واليأس بين وعود الفداء وتقاعس الصديق ، فبين الخزل والجد أضيع .

فائدة مزدوجة :

والقول بالتفسير الرمزى على هذا النحو ليس مفروضا على القصيدة ، ولا تعسف فيه ، فمعانيها لا تصدمه على الإطلاق ، وهو يحقق فائدتين ، أولاهما : أنه يخلع عن شعرنا القديم ما رمي به ظلما من المباشرة والمعالجة السطحية وسذاجة التركيب الفنى ، والحق أن الشاعر قد استعمل أسلوب الحوار بتوسع وتدرج لم يعهد كثيرا في الشعر العربى ، ففى الأبيات التى أوردناها سابقا ظل الحديث متداولا بينه وبين محبوبته لفترة طويلة ، وحين يتوقف بينهما علانية فإنه يستمر بينه وبين نفسه مضمرا على سبيل النجوى والمراجعة وأحيانا على سبيل حكاية ما كان ، حتى يقول معتذرا عن استسلامه للأسر وتفضيله على الموت :

وقال أصيحابى : الفرار أو الردى
فقلت : هما أمران أحلاهما مر ! !

وتبادل الحوار وسيلة فنية متقدمة بالنسبة للقصيدة العربية ، تمنحها طابعا مسرحيا ذا قيمة لا تنكر في إبراز الفكرة ومعالجتها ، وتجسيم المشهد والاقناع به .

والفائدة الفنية الثانية التى نجنيها من التفسير الرمزى للغزل تتجلى في أن القصيدة ستبدو بذلك أكثر تماسكا ووحدة فى الموضوع والجو النفسى الذى تبعثه في القارئ ، لأننا إذا قبلنا الغزل على ما يدل عليه في الظاهر سنجد القصيدة تشتمل على غرضين هما الغزل ثم الشكوى والاعتذار ، وسنضطر هنا وجهدنا إلى إكتشاف صلة موضوعية أو شعورية تربط بين موضوعين لا يستدعى أحدهما الآخر بسهولة ، وكل ما يمكن أن يقال إنه في سجنه قد تذكر أحبابه ، أو هذه الحبيبة ، فراح يحن إلى أيامها ويذكر عذابه في عاطفته نحوها ، وقد ذكره ما عانى من حرمان وعذاب بما يعانى في السجن ، فاستطرد إلى الشكوى والعتاب والفخر بنفسه .

ولكننا حين نقبل التفسير الرمزى لن نجد فجوة أو اختلافا بين الغزل وما تبعه من الشكوى والعتاب ، فالموضوع واحد ، وإن ادي بطريقتين ، طريقة الرمز في البداية ، ثم طريقة التعبير المباشر في أعقابه ، كما يعرض المشهد في السينما بطيئا ثم بالسرعة العادية بقصد التوضيح والاقناع وأيضا إظهار البراعة الفنية والقدرة على تطويع اللغة كأداة فنية تتوقف عظمة الشاعر على استعمال أساليبها المألوفة لأداء معان ، وتصوير مشاعر غير مألوفة .

وهكذا ستتداخل جزئيات القصيدة وتنضام في إطار واحد ، فتتحقق لها الوحدة الموضوعية التى تفتقدها الكثرة الكثيرة من قصائد شعرنا القديم ، وتمنح أبا فراس مزية جديدة فوق فروسيته ونبله ، وهى التجويد الفنى ، وإنه بها لجدير ! !

●●

طرائف

الحرية الفردية وحدودها

قال الشعبى : سمعت النعمان ابن بشير يقول على المنبر : ايها الناس خذوا على ايدي سفهائكم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان قوما ركبوا البحر في سفينة فاقتسموها واخذ كل رجل مكانا ، فاخذ بعضهم الفأس فنقر مكانه ، فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : مكاني اصنع به ما شئت ، فان اخذوا على يده نجوا ، وان تركوه هلكوا .

●●●

اسم الاسبوع

قال ثعلب : كانت العرب تسمى الاحد اول ، والاثنين اهون ، والثلاثاء جبارا ، والاربعاء دبارا ، والخميس مؤنسا ، والجمعة عروبة ، والسبت شيارا وانشد :

أؤمل ان أعيش وان يومي
باول او باهون او جبار
او التالي دبار فان أفته
فمؤنس او عروبة او شيار

●●●

خمس قبل خمس

قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم لرجل :ـ

بادر بخمس قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك .

●●●

شهيد الفداء



يبس الجرح ، فانتفض يا شهيد ... نام عن شارك الكماة الصيد
العيون التي تجمر فيها السهد ... يوما .. قد مل منها الرقود
والسيوف التي تفجر فيها الحقد ... حتى ذابت عليها الغمود
نسيت انها — وقد اصحر الثأر — ... تهاوت عليه وهي جريد
والرماح التي ركزنا على البيد ... نشاوى تتيه فيها البيد
لم تزل في الثرى الذليل حيارى ... تتغنى بذلها وتميد
وانتشى جذرها فاينع نصل ... اريحي الجنى واورق عود
كذب الوهم ليس يعرف طعم ... المجد رمح مزوق رعديد
الوغى تصطلي حواليه حقدا ... وهو في غمرة الجحيم جليد
كل احلامه — اذا اشتد عصف الريح في الثائرين — كيف يحيد

●

يا شهيد الفداء نحن على الدرب ولكن شوطنا مكدود
لم نصل ذروة المنى بعد ... فالخيل عطاش ، والقفر جهم بليد
ورحيل الفداء بعدك ضاقت ... بخطاه سهولنا والنجود
فتنادت عليه — والشوط نشوان — ... فلول من الاعاصير سود
وتبارى (ايلولنا) و (حزيران) ... كلا الفارسين شهم نجيد
غير انا — والاهل ادرى — عرفنا ... كيف نطوي تلاعه ونبيد
فارتناه ان ارضا نما بذرا ... عليها ليست له وهو عود
وجبالا شابت عليها الليالي ... وهو في جذع كرمها مشدود
سيدور الزمان فيها فيغدو ... وهو عنها بسيفه مطرود
يا لاردننا الجريح اغالت ... ضفتيه عروبة ام يهود ؟!

●

يا شهيد الفداء نحن على دربك ... والذل زادنا والورود
في متنه جدب تمطى به الليل وارخى عنانه التسهيد
وعلى طرة الصباح الذي ننشد ريب من محنة وهمود
والى يمنة الطريق ويسراها ... ربى صلدة الصخور عنود
وشعاب تخادع العين ، فالقصد القريب المنال ناء بعيد
فمشينا وانت تعلم ان السير في مثلها عسير شديد
نتملى مصارع التيه حيث النجم اعمى والفجر بعد وليد
وانتهينا بعد اللغوب الى (سرحة سرو) متيلها مهدود
فحمدنا السرى وقلنا سنغدو ... والضحى في جباهنا معقود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القى الاستاذ الشاعر مصطفى جمال الدين هذه القصيدة الغراء يوم ١٩٧١/١٢/١٣ في مهرجان الشعر العاشر بدمشق ، وقد صفق لها الجمهور كما لم يصفق لاية قصيدة اخرى،واستعاد مقاطعها اكثر من مرة ، وما كاد الشاعر الكبير ينتهي من القائه الرائع حتى هرع اليه يقبله كل من الشعراء بدوي الجبل وسليمان العيسى وعبدالمطلب الامين ، كما شد على يديه محييا جمع كبير من الادبـــاء والكتاب الحاضرين على اختلاف منازعهم ،وفيما يلي النص الكامل للقصيدة ..

● ●
● ●

شعر مصطفى جمال الدين

ثم هب الصـباح يملأ برديـــه الغـــد المرتجى .. وتصحو الرقود
فاذا السروة الغريبـــة اشبـــاح ظـــلال مـع الريـــاح تميـد
واذا نحـــن في لظى القيظ حقـــل اجرد النبت موحش مخضـــود
يتســاوى بسمعـــه تاعب الليـــل وشـــاد على الضحى غريـــد

● ●

يا لاحلامنـــا النكـــالى اهذا الكـــالح الغـــر فجرنـــا الموعـــود ؟!
اثمـــار (الخمس) التي حشدتنا للوغى : اننـــا قطيـع بديـد
خير ما عندنـا حماس يشـق الدرب للســـالكين وهـو قعيـد
وخطـــاب كحـــلوة الـورد باق منـــه في كل ســـامر توريـد
وطريـــق غـدو به خـانع السلم وتـدري بانـــه مســـدود
ثم مـــاذا ؟

ماسئلنا ان يقـول البعـض : لا بـــد للاســـير القيـــود
وينـك ان الاستعلام ملكي نفـــرا جلهـم اســير طريـد
ثم شـبت بـــه عزائمـــه الغـــر نمرت في الســـند منه البنـود
وتراثـــا والمسجـد القدس منا قيـد بـاع لم نـدر كيف نعيـد
ما لنـا من صلاتنـا ــ بعد هـذا الـذل ــ الا ركوعهـا والسجود
اين منا ايماننا ، والحفـاظ المر ، والبـــاس ، والظبى ، والصمـود
طوي الفتـح واستحـال رمـادا في الملايـين جمـــره الموقـود

● ●

عيرونـا على الفخـار بماضينـــا فقـــالوا : غـواية وجمـود !
وانطواء عـــلى القديم وقـد نضـر قلب الصـــحراء هـذا الجديد
شـــفق الامـس لن يعـــود وفي الافـــق بـروق لغيـره ورعود
يا دعـــاة الغد الجديد .. لنا اليوم بمـا فيـه ، والغـد المنشـود
لنـا الامس : فجـره ودجـــاه وشـبوب عليهمـا وخمـــود
ولنـا بعد ان جمـرا صلينـــا كان منـــا ضرامه والوقـــود
وكؤوســـا قد رنحتنـا وفاضت ليس فيهـا لغيرنـــا عنقـود
امسـنا بالمشـرق الشمس فتح عـربي وفيـــلق محســـود
ليس فيه ــ والحمد لله ــ سيف فاتك الغـــدر او ســنان حقود
عارنـا اننـا نسينـــاه فاريـدت سمانـــا وزاحمتنـــا العبيـد
كيف يقوى على المواصف غـرس جـذره في ترابـــه مـوؤود



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لقاء مع

ثروت أباظه

أجرى الحديث / محمد صفوت

الأديب المبدع ثروت أباظة ، عرف بحبه واخلاصه لأدبه وفنه ، الى الحد الذى جعله يقرر أن يتفرغ تفرغا كاملا للتعبد في محراب الأدب والفن .

اتخذ هذا القرار وهو لا يزال في مرحلة الشباب المبكر . . . ثم تخرج في كلية الحقوق ، وكان من اليسير عليه أن يحظى بأفضل المناصب الحكومية ، بالليسانس الذى يحمله ، وبفضل نفوذ أسرته العريقة — وقد كانت الأمور في مصر تجرى هكذا قبل الثورة — ولكنه التزم بقراره ورفض أن يخضع للقيود الوظيفية ، خشية أن تحد من حريته كفنان ، أو تحول بينه وبين تحقيق آماله وتطلعاته الأدبية .

ونحن نلتقى به اليوم ، بعد أن أنفق من عمره ربع قرن أو يزيد في ميدان الخلق والابداع ، وبعد أن أصبح ذلك الكاتب اللامع ، الذى أثرى حياتنا الفكرية ، وأضاف لمكتبة الأدب العربى أربعة عشر كتابا ، تعد ثروة حقيقية نعتز بها جميعا .

ومؤلفاته تتكون من : سبع روايات ، وأربع مجموعات قصصية ، ومسرحيتان ، ومجموعة تمثيليات إذاعية .

وبعض هذه المؤلفات قد أعد ومثل في الإذاعة والتلفزيون ، والسينما والمسرح ، وبعضها الآخر يعد أو ينفذ في الوقت الحاضر .

وأدب ثروت أباظه يتسم بالشاعرية والعمق ، والأصالة والجودة ، ويهتم بالواقع الاجتماعى ، والعلاقات الانسانية ، وهو من خلال كتاباته يهمس لنا بحبه الصادق للانسان ، وتقديسه للعدل والحرية في مجتمع ترفرف عليه قيم الخير والرفاهية .

وجدير بالذكر أن الدولة كرمت ثروت أباظه وتوجته بجائزة الدولة عام ١٩٥٨ . . عن روايته « هارب من الأيام » .

وقد وصف أدبه الناقد الكبير الدكتور عبد القادر القط فقال . . أنه يتميز بلغته الشاعرية .

وأيضا ، قال عنه الناقد الدكتور عبد الغفار مكاوى . . أن ثروت أباظة يحاول أن يربط التراث العربى بأحدث تطورات الأدب العالمى في فن القصة الى ما قبل اللامعقول ، عن طريق الأسلوب العربى الجزل جدا ، ومحاولاته الجمالية في هذا الأسلوب ، مع التبسط في الحوار الى درجة تشعر القارىء أنه مكتوب باللغة العامية ، بينما هو في الواقع بالعربية .

كما أن الناقد مهدى بندق أصدر كتابا بعنوان « الدين والفن فى أدب ثروت أباظة » وهو عبارة عن دراسة شاملة لأعماله التى سبقت روايته « شىء من الخوف » .

ولقد استقبلنى الأستاذ ثروت اباظة بما أعرفه عنه من الطيبة والمودة والتواضع ، ومع ابتسامته المشرقة ، دار الحوار بيننا :

نشأة الكاتب :

• **أرجو أن تحدث القراء عن نشأتك ، وما تخللها من العوامل التى أثرت فى تشكيل قدراتك الأدبية .**

— لقد ربيت فى بيت والدى « دسوقى باشا أباظة » . . وكان له أكبر تأثير على تكوينى الانساني والأدبى . . كان البيت ملتقى لأدباء مصر جميعا ، وقد أفدت من هذا فائدة كبرى . . كما أن اختلاطى بالشعراء جعلنى أهتم باللغة العربية اهتماما بالغا . فتكون لدي محصول كبير من العلوم الأزهرية التى هى أساس من أهم أسس اللغة العربية .

ووجودى فى هذا البيت أيضا جعلنى اختلط بجميع طبقات الشعب . . فالفلاحون مثلا جزء من حياتى وقد عايشتهم المعايشة التى مكنتنى من كتابة « هارب من الأيام » . و « شىء من الخوف » .

ولقد عاشرت الطبقة التى يقولون عنها الطبقة الأرستقراطية ، فاستطعت أن أكتب « قصر على النيل » و « ثم تشرق الشمس ».

وأعتقد أن ما توفر لي في بيت أبي ، قل أن يتوفر لغيري ، فهو رجل كان جاهه يعتمد على صلاته بجميع طبقات الشعب ، صلة أبوة وأخوة ، ومن هذه الصلات تكونت ثقافتى الحقيقية فى الحياة .

النشر لأول مرة :

• **ما هى ذكرياتك مع النشر لأول مرة :**

— كان لي مدرس وصديق فى نفس الوقت هو الأستاذ عثمان نوية الذى لا يزال من أعز أصدقائى . وكان على صلة صداقة فيها شىء من البنوة بأستاذنا المرحوم أحمد بك أمين وعرض على الأستاذ عثمان نوية أن أكتب لمجلة « الثقافة » التى كان يشرف عليها أستاذنا أحمد بك أمين فكتبت كلمة عن موقف بيني وبين مدرس اللغة العربية بمدرسة « فاروق الأول الثانوية » ووقعتها بامضاء « تلميذ قديم » وذهب بها الأستاذ عثمان نوية الى أحمد بك أمين فسأله : هل هى لمدرس زميلك ؟ . . فقال له : لا . . إنها لصديق محام .

وكأنه كان يتطلع الى الغيب ، لأننى كنت فى ذلك الحين فى السنة الرابعة الثانوية وكان عمرى اذ ذاك ١٦ عاما فقط .

ونشر أحمد بك أمين الكلمة بعد أن أصلح بها بعض العبارات ثم عرف حقيقة الأمر ، فصار ينشر لي دون أن يصحح شيئا مما أكتبه أبدا . وظللت أنشر بالثقافة منذ ذلك الحين (عام ١٩٤٣) .

وتوالى النشر في الثقافة والرسالة والمصري . . وذلك حين قدمت كتابي « ابن عمار » الى دار المعارف ، لم أجد صعوبة فى نشره ، وتصادف أن تقرر على طلبة السنة الاعدادية فى نفس العام ولم تصادفنى بعد ذلك صعوبات فى النشر .

القيم الأدبية :

• **ما هي فلسفتك فى الحياة ، وما هي القيم التي تؤمن بها ، وكيف ينعكس ذلك على أعمالك الأدبية ؟**

— انى أومن بالحرية ، والأمن الناشىء عن الحرية . . وأرجو أن يجد النقاد انعكاس هذه الفلسفة على أدبي .

وظيفة الكاتب :

• **ما هي وظيفة الكاتب فى رأيك ؟**

— وظيفة الكاتب أن يقول ما يجب أن يقول فى أجمل قالب فني يمتع القارىء ، ويجعله يحس أنه يقرأ شيئا جديرا بالتفكير .

الأشكال الفنية :

• **روايتك الرائعة « هارب من الأيام » . . التى فازت بجائزة الدولة . . صدرت فى كتاب ومثلت فى الاذاعة ، وعرضت على . . . شاشة التلفزيون ، وشاشة السينما ، وخشبة المسرح . . فما هو أقرب هذه الأشكال الفنية الى نفسك ، وأقدرها على تحقيق ذاتك وفلسفتك ؟**

— أحب عمل الىّ ، قدم عن « هارب من الأيام » هو ما أعدته السيدة « أمينة الصاوى » كمسرحية مثلتها فرقة الاسكندرية المسرحية .

وعموما ، لايمكن أن يقدم عمل عن رواية مكتوبة ، يستوعب كل ما جاء فى هذه الرواية .

النكسة :

• **الى أي حد تأثرت أخيرا أعمالك بالنكسة ؟**

— الواقع أننى أكتب ، وأترك التفسير للقراء والنقاد .

الأدب العربى والعالمى :

• **أعتقد أنك قرأت الكثير من كتب الأدب العربى والعالمى ، قديمه وحديثه ، فالى أي مدى أفدت من ذلك ؟ . . وهل تأثر أدبك — بصورة أو بأخرى — بما قرأت؟**

— ليس هناك أديب لم يقرأ أدبه المحلي أولا ، ثم الأدب العالمي ثانيا . . وأنا لا أذكر أن ليلة مرت علي — منذ كنت فى الثامنة من عمرى حتى الآن — لم أقرأ فيها .

واذكر أننى كنت فى رأس السبع قبل أن تدخلها الكهرباء فكنت أقرأ على ضوء القمر أو أضع بطارية على صدرى ، وأقرأ عليها قبل النوم .

وفى بلدتنا — غزالة بالشرقية — قبل أن تدخل الكهرباء إلى بيتنا ، كنت أقرأ على لمبة جاز ، ولا زلت أقرأ عليها حتى الآن ، كلما ذهبت الى البلدة ، حتى لا أحمل القائم بشأن ماكينة النور مشقة السهر معي أثناء قراءتي .

وأعتقد أن الاساس الذي يجب أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقـوم عليه ثقـافة الأديب هو تراثـه أولا ، ثم الآداب الأخرى . وقد أثـر على كتابتي كل من قرأت له ، من الشرق أو الغـرب .

أدب الشبـان :

• ما رأيك في أدب الشبان . . وان كان البعض يدعى أنك تعادي التيارات الأدبيـة الجديدة ، فما هو ردك على ذلك ؟ . . وما هو موقفك من قضية الجديد والقديم التى تثار من آن لآخـر ؟

— الواقـع أنني أزعم أنني أنحت للكثرة الكاثرة من شباب هذا الجيل ميدان النشر ، حـين كنت أعمـل بمجلة « القصـة » . . فأغلبهم بدأ النشر في هذه المجلة ، ولا أعتقد أنهم ينكرون ذلك .

فموقفي الرافض هو موقف من نوع الأدب الذى انتحوا اليه ، وليس منهم هم . وهذا الرفض بسيط لا يحتاج الى شرح ، ولا تعقيد فيه فأنا أرفض ما لا أفهم .

وأذكر أن أحـدهم قال : فلنستعن بمترجم . . وأعدهم أنني حين أجد هـذا المترجم ، سأقول رأيي فى أدبهم بعـد أن يشرحه لي هذا المترجم .

هذا اذا اقتنعنا أن الأدب المنشور يحتاج الى مترجم يترجمه الى نفس لغته التى كتب بهـا .

ولا أعتقد أن لنا حياة إلا اذا وجد بعدنا من يكتب . . فنحن الى موت . . ويجب أن يظل الأدب حيـا . . ولا يحيـا الأدب الا بالجديـد .

كل ما نرجوه أن يوجد هذا الجـديد ، وأن يجد من يقرأه ، ونحن سنكون فى طليعة المصفقين لـه ، المفسحين لـه كل طرق الانتشار والازدهـار .

فالأدباء يعرفون أنهم مرحلة ، أن لم تتصل بمرحلة بعدهـا ، فهي هاوية . . ولا نحب أن نكون هذه الهاويـة .

وانني واثق أن هذا الاتجاه من الأدب غـير المفهـوم سيقضي على نفسه بنفسه . وسيقدم الشباب لنا أدبا جديدا مفهوما ، لأنهم من قبل ومن بعد يكتبون لمن يقـرأ ، فاذا لم يجدوا من يقرأ ، فسيبحثون عنه .

أزمـة النشـر :

• من الملاحظ أن حياتنا الأدبيـة تكاد تختنق ، لضيق فرص النشر أو انعدامهـا تماما ، بالرغم من وجود صحفنا اليـومية ومجلاتنا الأسبوعية والشهرية ، فما هـو الحل الذى تراه للخروج من هذه الأزمة ؟

— لعل أزمة النشر تابعة من نوع الكتابة الجديدة ، التى يتجـه اليهـا الكتـاب من الشباب .

مجـلات القصـة :

• بحكم اشرافك على مجلتى القصة ، ونادي القصة ، فى السنوات الماضية . . . ما هى أسباب تعثر هذه المجلات ؟

— فيما يختص بمجلة القصة ، فقد أوقفها الدكتور حـاتم فى وزارته السابقة ، بعد هجـوم عنيف من الدكتور لويس عوض . . وأستطيع أن أقول وأنا مطمئن أنه كان هجوما غير موضوعي .

أما فيما يتعلق بمجلة نادي القصة ، فمشكلتها الأساسية هي المـال .

وزارة الثقافة والاعلام :

• ألا ترى معي أن وزارة الثقافة والاعلام فى دولنا الحديثة ، من واجبها أن تعتمد ميزانية خاصة لاصدار مجلة أدبية متخصصة أو أكثر ؟ . . خاصة وأنها تنفق على السينما — مثلا — بسخاء ، ومثل هذه المجلة أو المجلات مجتمعة لن تكلف ما يوازى ميزانية فيلم واحد . . كل عـام . . كما أنه ليس مـن الضروري أن تربح هذه المجلات . . فوزارة الثقافة والاعلام من أهـم واجباتها نشر الثقافة ، ومجلـة « المجلة » الشهرية والوحيدة الموجـودة تؤدى واجبها ، ولكنها لا تستوعب نتاج كل هذا العدد الكبير من الكتاب . . مـا رأيـك ؟

— أعتقـد أن هذا الواجب لا يحتاج الى تنبيـه !

الهيئة العـامة للتأليف والنشر :

• الهيئة العامة للتأليف والنشر . . هي الدار الرسمية الوحيدة للنشر فى جمهـورية مصر العربية ، ولكن الاعتقـاد السائد أن نشاط هذه الهيئة يكاد يتلخص فى تشكيل اللجان واعداد خطة للنشر كل عام ، ولكن هذه الخطة لا ينشر منها إلا الكتب الموصى عليهـا ، أو تلك الـتى يكون كتابهـا من الاقارب أو المعارف أو ممن يملكون رد الجميل . . أما باقي الكتب فانها تؤجل دائما للعام التالي ، ثم العام الذى بعد التالي ، بحجة أن الميزانية لا تسمح . . وهكـذا . . حتى يصاب أصحابها باليأس ويصرفـون النظر عن أمر نشرها ، لأنهـا في أفضل الأحوال ، لن تنشر إلا بمعجزة ، وبعد سنوات طويلة ، بحيث تصبح غير ممثلة لكتابها وقت صدورها . . كما أن الهيئة لجأت فى السنوات الأخيرة الى اصدار كتاب واحد مشترك لكل ثلاثة أو خمسة من الأدباء الشبان . . بدعوى التوفير فى النفقات . . ومثل هذا الكتـاب طبعا لا يضم غير عدد قليل جدا من القصص أو القصائد المقدمة من المؤلفين . . بينمـا تصدر الهيئة فى نفس الوقت كتبا كاملـة مستقلة لفريق آخـر من الشبان في نفس المستـوى .

وأكثر مـن كـل ذلك أن مصـير منشورات الهيئـة هـو الايداع فى المخازن وليس التوزيع كما ينبغى . . فما هو رأيك ؟

— أرجو أن يكون فى التنظيمات الحديثة ، ما ينفي عن دار النشر المشار اليها ، ما يوجه اليها من تهم .

واعذرني اذا لم استطع أن أتفق مع من يوجهون هذه التهم ، فأنا لم أخبرهـا بنفسي ، ومن الظلم أن اطلق حكما عـلى شيء لا أعرفه .

اتحـاد الأدبـاء :

• نحن ننادى الآن بضرورة تكوين اتحاد عام لأدباء جمهورية مصر العربية ، فمـا هو تصورك لهذا الاتحاد ؟

— الواقع انني لا استطيع أن اقيم فى ذهني تصورا واضحا لاتحاد الكتاب إلا أن يكون فى شكل نقابة تدافع عن مصالح الكتاب قبل أجهزة الاعلام والنشر .

محمد صفوت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ضباع على رصيف المدينة

قصة / فوزي العمري

رموا بطاقة هويتي . . رموها بعيدا بقرف انتشر في نفسي كمحلول فولاذ . . وانطلق صراخهم كعاصفة غبار .

— من أنت ؟

— ماذا تريد . . ؟

— من أهلك . . ؟

— من أين أتيت . . ؟

— أين تقيم . . ؟

ثم راحوا يسبونني ويلعنون جدودي . . لم يكتفوا بذلك . . أخذوا يصفعونني على وجهي ورأسي ويركلونني بالأقدام . . وصراخهم يعلو . .

— أليس لك مكان تذهب اليه وتعفينا من رؤية وجهك الكريه . .

أحست بظلم طاغ أسود وبضيق عجيب يشد أضلاع صدري الى الداخل . . خرجت من داخل الجموع وأنا أشعر أني وحيد بشكل هائل . استدرت وسرت بخطوات قلقة تغوص وتخرج في وحل غير مرئي وأنا أحس بنظراتهم فوق ظهري محرقة كالنار . . نفاذة كالذل ثقيلة كالعار . . وصراخهم كاللعنة . . كوخز الأبر . . كالبصقة ترطب جبيني وتسيح على وجهي .

شعرت بانفصال وانعزال عن كل ما حولي . . وبدا لي أن أجمل ما مر بي قد غدا احقر شيء لدي . .

التقطت بطاقة هويتي من فوق الأرض الثرجة . . نظرت بعينين تفجرت منهما الدموع في مشكلة وجودي وأنا اغمغم :

— معهم حق . .

هويتي مهترئة . . متعفنة . . متغضنة . . صفراء . . فاسمي متآكل لا يظهر منه سوى حرفين . . واسم أبي لا يمكن أن يقرأ بالعين المجردة . . تاريخ ميلادي لم

يبق منه غير رقم واحد فقـط . . صفر . . أما مكان اقامتي فمشطوب بحبر اسود . . الذي شطبه أعمل به يدا انسكب فيهـا حقـد العـالم وغلـه حتى بدا كبقعـه سوداء شديدة السواد كأنما قطعت مـن ثوب ارملة .

وأنـا مثـل هويتي . . فقدت بعض معالمي . . وأضعت بعض ذاتي .

أيامي متشابهة . ما أفعله اليوم افعله غدا لا جديد . . نوم ويقظة وجوع وتسكع فوق الارصفة منذ ارغمت على الخروج مـن بلـدي . . من جنـة البرتقال مع بقية القطيع البشري وأنا أمشي متسكعا هنـا وهناك . . الـوك الجوع والتشرد . اهرب من مكان الى مكان من زواية الى زاوية . . مثل كلب أجـرب . . حتى وصلـت الى حيث أنا . . فوق بقعة رملية جرداء تأكلهـا الشمس . . يسبح تحتها الذهب الأسود ، حرمت هناك حتى من حنان أمي . .

مسكينة أمي . . كانت تحبني كثيرا .

ما احلاها حينما كانت تجلس تحت شجرة التوت تقوم في «حكورة» بيتنا ليس فيها غير أغصان تجرحها الرياح . . تنور وجهها ابتسامة نبي . . تشرب الشمس وتتمتم بحديث هادىء عفوي . . تحدث الله . . تطلب لي النجاح والتوفيق وتسأل لاخي الذى يكبرني الهداية .

مسكينة . . حين اذكرها هنا فوق البقعة الرملية الجرداء . . تتفجر الدموع من عيوني وتجلدني سياط الألم بوحشية .

ترى . . ماذا فعلوا بها . . ؟ لا بـد انهم جرجروها من خيوط الحرير الرمادية . . وزرعوا اظافرهم في عينيها ووجهها ، وجلدوا صدرها الحنون بسياط بربريتهم . .

لو لم اهرب وألهث مثل كلب أجرب ، لكنت الآن في بلدى وقاتلت بالاظافـر والاسنان وجعلت من لحم صدرى درعـا يحميها ويرد عنها الكلاب المسعورة . . . لكني هـربت . . ومـا زلت اهرب مثل كلب أجرب . . أغوص في فراغ غباري أجوب الشوارع يمسكني رصيف ويدورني ليسلمني لآخر . . ازرع نظراتي فـوق فساتين النساء . . وأحيانا اخلع عنهـن الفساتين فأرى النهود المدورة الطليقـة . . فتمرق في جسمي تيارات بارقة من الجنس تخلف في جوفي شوارع من النـار . . . فأحلم بقضاء ليلة دافئة . . لكني لا ألبث أن احس بضاهة تمزقني . . فأحمل كياني المصدع وأهرب الى التحديق في الكتب : سارتر ، وكافكا والمعري ، وابن حيان . . فيمتلىء رأسي ، وتلتوي الاشياء في ذهني ، وتتشعب الامور وانعب حتى درجة الاعياء . . فأتذكر كلمات أخي الذي يكبرني ونحن نكرع الخمـر في خمـارة أبـي (جورج) في بيروت :

أما زلت كالخشبـة التي تتقاذفهـا الميـاه . . أما زلت تخاف النساء وتعيش الحب بالخيال . . ألم تجـد موقعا لقدميك بعد ؟ . . الخمـر والنساء والليالي الملونة التي تمضي ينبغي أن نقبل عليها بنهم ونمتص ذرات فتنتها . . اصطياد فتاة وعصرها بين ذراعين قويتين احـلى مـن اصطيـاد فراشة وعصرها بين دفتي كتاب . .

وأخي الذي يكبرني هرب مثـلي . . غادر بلده . . لكنه وجـد موقعـا لقدميه في قطر عرفي بترولي . . واقتنـى سيارة فخمة بيضاء ، ومجموعة من البدلات والاحذية الانكليزية وربطات العنـق والكاكا الفرنسية الملونة . . وأصبح يطـير كفراشة . . يرسم المواعيد الملحة ويقطف الربيـع . . . مـرة في شـوارع بيروت . . وأخرى في شوارع باريس ولندن . . يصطاد الفتيات الصغيرات ويدفن وجهـه في الصدور الحرافية . . يفعل كل ذلك دون أن يهزه الذين يزرعون الرعب فوق التراب الفواح برائحة نوار الليمون والبرتقال . . حتى عندما ارتفع الدخـان وصبغ فضـاء بلدى البلوري بلونه القاتم . . وهزت الارض اصوات القنابل . . ومـزق الرصاص الرؤوس . . وحرق النابالم فرح الاطفال . .

جـاء يزورني . . كان كالدميـة . . لم تغيره ساعات الهول التي سـحقت السنابل الخضراء وزرعت الحزن في غـزة والضفة الغربية . . لم يتبدل فيه شيء . . . البدلة الانكليزية المختصرة . . الحذاء اللامع . . الوجـه المصقول . . الشارب المرسوم كحاجبي فتاة عانس . . والضحكة الجوفاء التي انطلقت في وجهي ووجـوه رفاقي الذين كانوا يجلسون معي .

حدق في المكان في بلادة ويلـه . . ثم قال ونفس الضحكة تنطلق في وجوهنا :

— كأنني لم اقطع الف ميل . . كأنني في نفس المكان الذى قدمت منه .

قلت وأنا أقف لأسلم عليه :

— ماذا تعـنى ؟

جلس وهـو يقـول :

— هناك ايضا مثل هنا تمـاما . . نفس الجلسة . . جماعات وشلل في البيوت . . الترانزستورات تصرخ بالاخبار . . والنقاش الفـارغ يتطاير في الهواء . .

رد عليه واحد من رفاقي :

— المسـألة جـدية . .

— انت تراها جدية . . أما أنا فأراهـا غير ذلك .

— أراها كما يريدها العالم المتآمر اللئيم .

ورد آخـر :

— انك تعيش خلف سـد هائل من اليأس القاتل والانهزامية المميتة . . وهـذا بالضبط ما يريده العالم المتآمر اللئيم . . أن تسقط . . وأنت تسقط الآن .

— قل انني اسقطت منذ مدة طـويلة عشرون عاما مضت ونحن نطارد ونحشر خلف ابواب حديدية ، وحين بدأت المعركة قالوا لنـا تعالوا وقاتلوا . . كيف نقاتل ؟ ! !

— نقاتل بالاظافر والاسنان .

— كلمات كبيرة من السهل على أي واحد ان يقولها وهو جالس يمتطي بكسل وبـلادة .

وانطلقت ضحكته الجوفاء تدوي في المكان . . ثم استدار الي وهـو يقـول :

— لك معي تذكرة طائرة الى لندن . . انهض فأكل الحياة قبل ان تأكلنا الحياة . .

* * * *

خرجنا من دار البغاء أنا وأخي الذي يكبرني ولا حديث لنا إلا المفاضلة بـين جسدي ليز ومارجي . . اجمل امرأتين في دار البغاء . . ثم هرولنا خارجين من حي « سوهو » الذى يتوهج فيه الضياع والتشرد والصعلكة . . قطعنا ميدان بيكاديللي المزدحم



باجسام طرية تتمايل وتتعانق وتتقافز وأخي يقـــول :

— سنذهب الى ميدان « ليستر » . . . هناك مكتبة تبيع الصحف والمجلات العربية

ثم وضع غليونا بين اسنانه واستطرد :

— سأدعك تزرع قدميك في كل مكان . . سنقضي الليلة عند صديق عزيز . . عدنان . لا أدرى أن كنت تعرفه . . كان يقيم بجوارنا في حي الرمال في غزة . . جـــاء الى لندن قبل عشر سنوات لدراسة الطب ، ولكنه هجر دراسته وصبغ حياته بالحـــب والجنس . . واستهوته حياة الصعلكة والتشرد، فطاب له المقام في لندن . . تسكع في منطقة فيكتوريا وبرايتون ثم استأجر بيتا صغيرا في نهاية شارع اسكفورد يقيم فيه الحفلات المجنونة . . . يشعر بحنـــين جارف الى النهارات المشمسة في بلـــدي ، وينفعل كممثل عريق في التمثيل وهـــو يلقي التعليقات السياسية المترجمة من اذاعة لندن بصوت عريض فخم كأنما يبني لنفسه مجدا . . ستراه الليلة ويعجبك .

وتابعت المشي وراء أخي وهو يعبر الشوارع المغسولة برذاذ المطر بخطـــوات راقصة الى ان وصلنا الى المكتبة . . ابتاع أخي مجلة روز اليوسف والجمهورية . . ووقف يقلب صفحات الجمهورية بلهفة كأنمـــا يبحث عن شيء معين . . ثم قذف بهـــا الي وهو يقول :

— لا شيء عن كرة القدم .

وتعلقت نظراتي فوق صورة منشورة على الصفحة الثالثة وأنا اغمغم : انه هو . هـــو . . .

وقفز « مازن » امامي بقامته المارده وصدره العريض وعينيه المشتعلتين النفاذتين

شعرت باختناق عظيم وأنا أقرأ أنـــه استشهد في « طوباس » وشعور بالنقص يمزقني . . . . بكيت ، دفنت وجهي بـــين كفي وبكيت . . كأنني اخفي صفعات الاهانة التي نزلت على وجهي قاسية هائلة كأنها ضربات مطرقة حديد ساخن ارتـــج لهـــا كيـــاني .

انزويت في ركن من اركان المكتبة ابحث عن الخوف والتردد في ذاتي . . لا شيء سوى سجن التسكع والتشرد والتقاض الأجوف والشلة التافهة . . وأخي . . هذا التافه الميت الضمير . . وسمعته يسأل في بله :

— مـــاذا بك ؟ ؟

رفعت اليه عينين غامت فيهما الاشياء وأنا احس بخيوط النقمة تندفع من كياني لتلتف حول عنقه . . ثم صرخت وأنا اقذف بصحيفة الجمهورية في وجهه :

— انظر . . انه مازن . . اتذكـــر مازن صديق المدرسة . . اقرأ . . « هجر دراسته الجامعية والتحق بالعاصفة . . . » اقـــرأ : ظل يقاتل في طوباس حتى نفدت اخـــر رصاصة لديه ففجر قنبلة يدوية بنفسه وبمن حوله من الاعداء . . مات لأنه اصيل . . اشترى بموته الحي حياتنا الميتة .

واندفعت خارجا من المكتبة . . . اخذت أهرول فوق الشوارع المغسولـــة برذاذ المطر وطنين هائل يدق داخل رأسي : أين أنـــا منـــه . . أين أنـــا من رفاقه . . أنـــا هنـــا انطلق . . ارقص واضحك كالداعرات . . وهم هناك فوق الارض الطيبة يغسلون بدمهم عاري . .

وزاد اندفاعي فوق الشوارع كأن قوة خرافية تسوق قدمي . اضرب وجـــه الاسفلت بقسوة . . اسحق التمزق واليأس . . اسحق الشلة التافهة وخمارة ابي جورج .

كانت الريح تحمل الى وجهـــي صفعات لاذعة باردة كأنها صفعات غصن لـــوز مبتـــل بالماء واشتد هطول المطـــر وأحســـت أني اتجدد . . أني اولد من جديد . . ضاعفت من سرعتي مندفعا الى الامـــام . . مندفعا بسرعة فائقة . . عسى ان اخرج من شارع النكسة الى واد في بلادي يزغرد فيـــه الرصاص .

• • • •

● ● ●

في النقد اللغوي

من حاضر اللغة العربيّة

للأستاذ سعيد الأفغاني



بقلم جميل علوش

صَدَرت من مدة غير بعيدة الطبعة الثانية من كتاب (من حاضر اللغة العربية) للاستاذ سعيد الأفغاني عن دار الفكر اللبناني وكانت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قد صدرت عن معهد الدراسات العربية العالية بمصر في عام ١٩٦٢ بعنوان (حاضر اللغة العربية في الشام) .

ولقد أدار السيد الأفغاني هذا الكتاب حول نهضة اللغة العربية في بلاد الشام في عصرنا الحديث وما رافقها من صراع عنيف بين أبنائها المخلصين من جهة وأعدائها الألداء من دخلاء ومحتلين من جهة أخرى . وتحدث بتفصيل وافٍ عن الدسائس التي كانت تحيكها حكومة الانتداب الفرنسي ضدّ لغتنا وتاريخنا والأحابيل التي كانت تضعها في طريق تقدمنا ورقينا .

والأستاذ الأفغاني يتعرض في هذا الكتاب لمختلف القضايا اللغوية ويعالج أوضاع اللغة الشاذة وأخطاءها الشائعة ويتحدث عن الفصاحة والسلامة وتجنب اللحن ، ويناقش في ذلك كبار العلماء مجاهراً بالرأي مقارعاً بالحجة حيناً منجرفاً مع العاطفة حيناً آخر .

ولقد قرأت الكتاب بتدقيق وامعان . شأني في كلّ كتاب يدور حول لغتنا العربية ويعالج مشكلاتها وقضاياها . ولقد سجلت ما سجّلتُ من الملاحظات على حواشيه وهوامشه . ومن مجموع تلك الملاحظات قررتُ أن أعلق عليه وأبدي رأيي فيه .

وما أظنُّ أن الأستاذ الأفغاني وهو من هو حباً للعربية وشغفاً بها سيضيق ذرعاً بنقدي أو يزوّر عن قبول ملاحظاتي مؤكداً أني لم أبح لنفسي أكثر مما أباح ولم أخرج عن الدائرة التي اختطها لنفسه وتحرك ضمنها .

بعد هذه المقدمة التي كان لا بد منها لإيضاح بعض الالتباسات التي يمكن أن تنشأ في مثل هذه المواطن أنتقل إلى صلب الموضوع فأعرض نماذج من الأخطاء النحوية واللغوية والبيانية والجمالية التي تضمنها كتابه وأرجو أن أوفق في اصابة الهدف وبلوغ القصد .

وأول ما يظهر لنا من الأخطاء النحوية أن المؤلف لم يكنْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موفقاً في تحديد الزمن بدقة وضبط فهو يخلط بين الماضي والحاضر والمستقبل ، في حين أن اللغة العربية تملك من الصيغ والأساليب ما تعبر به عن ذلك بدقة وإحكام . والتقصير في تحديد العنصر الزمني الذي يدور حوله الحديث هو ضرب من الفوضى الفكرية والتشتت الذهني . ولنضرب أمثلة على ذلك :

جاء ص (١٥) ما يلي : ومن الانصاف الاعتراف بأنّ الحال في الأناضول ليسَ خيراً منه في الشام بل إنه لكذلك في جميع البلاد التي يحكمها العثمانيون يومئذٍ .

والمؤلف انما يتحدث عن فترة عبرت وانتهت فكانَ الجدير به أن يُعبِّر عن الماضي بصيغة الماضي لا بغيره فيقول : ومن الانصاف الاعتراف بأنّ الحال في الأناضول لم يكن خيراً منه في الشام بل إنه كان كذلك في جميع البلاد التي كان يحكمها العثمانيون يومئذٍ . إن (ليس) تدل على الحال لا على الماضي وكذلك المضارع وهذا مخالف لما يقصده المؤلف .

جاء (ص ١٧) ما يلي : وأسرعت الدول فأرسلت إلى القدس وبيروت وغيرهما ارساليات تبشيرية من أعمالها فتح مدارس تبشيرية . والتمسك بالدقة الزمنية يقتضي أن يقول : كان من أعمالها أو من الأعمال المنوطة بها أو الموكولة اليها فتح مدارس تبشيرية .

جاء (ص ١٩) ما يلي : وانما آثرنا الاشتغال عنايتهم بالعربية في بضع السنين الأولى من التأسيس مهما تكن نيتهم . والأصح أن يقول مهما كانت نيتهم .

جاء (ص ٣٥) ما يلي : فقد أخبر محب الدين الخطيب أن أعضاءها من المثقفين الواعين . والحديث عن الزمن الماضي فكان يجدر به أن يقول : ان أعضاءها كانوا من المثقفين الواعين .

جاء (ص ٦٣) ما يلي : ولا يجوز مُطلقاً طبع كتاب لم ينظر في سلامة لغته . والصحيح أن يقول : ولم يكن يجوز البتة طبع كتاب لم ينظر في سلامة لغته .

جاء (ص ٦٨) أن هذا العمل الواسع المتين في أقل من سنتين الخ . والصحيح أن يقول : إن هذا العمل الواسع المتين الذي تم في أقل من سنتين . لأنه لا يصح أن نترك شبه الجملة دون متعلق . وقد كانت كذلك في التركيب الأول .

جاء (ص ٧٩) ما يلي : وبذلك جعلوا الأطفال يحسون منذ نعومة أظفارهم بمرارة النضال الذي عليهم أن يناضلوه غداً . والصحيح أن يصوغ العبارة كما يلي : الذي كان عليهم أن يناضلوه في أيامهم المقبلة أو القادمة . والحديث عن الغد في وصف الماضي ليس صحيحاً ولا دقيقاً .

جاء (ص ٨١) ما يلي : دخلت مدرسة التجهيز تلميذاً بَعد الاحتلال بعامين وقد جمع طلاب الثانوية وطلاب دار المعلمين على منهج واحد ثم ينفرد طلاب دار المعلمين بدروس مسلكية الخ . وتصحيح هذه العبارة كما يلي : وكانَ طلاب الثانوية وطلاب دار المعلمين آنئذٍ يجتمعون على منهج واحد ثم ينفرد طلاب دار المعلمين بدروس مسلكية الخ .

جاء (ص ٨٢) ما يلي : ومع اختلافهم في التمكن والتبحر في علوم اللغة العربية يستوون في حبها والغيرة عليها . وتصحيح العبارة كما يلي : ومع اختلافهم في التمكن من اللغة العربية والتبحر فيها فقد كانوا يستوون في حبهـا .

جاء (ص ٩٦) ما يلي: ويجب أن تعلم أن خطط الفرنسيين الهدامة بقيت تستمر في عملها بعد جلائهم وحتى الآن . والصحيح أن يقول استمرت أو بقيت مستمرة في عملها . أما بقيت تستمر فهي ضعيفة ركيكة .

جاء (ص ٢١٠) مايلي : أليسَ قد صَرَفَنا بهـا عن الاهتمام الخ . والأقرب إلى الصحة والفصاحة أن يقول : ألم يصرفنا بها عن الاهتمام الخ وركاكة التعبير الأول واضحة بينة .

وبعد الانتهاء من الأخطاء النحوية فيما يتعلق بعنصر الزمن نتقل لعرض أخطاء نحوية مختلفة وهذه نماذج منها :

ورد (ص ٤٧ الحاشية) ما يلي : كما سنراه في المحاضرة الآتية . والصحيح أن يقول : كما سنرى في المحاضرة التالية . دون إظهار ضمير الغائب المتصل المبني . والسبب في ذلك أن (مـا) المتصلة بالكاف ليست اسم موصول بل مصدرية . والمصدرية لا تتطلب عودة ضمير إليها لأنها حرف . وليست هنا في سبيل اثبات حرفيتها لأن المجال لا يتسع لذلك .

ورد (ص ٤٩) ما يلي : كان الغاء الثانويتين العربيتين بعدَ انشائهما اصرخ الأدلة الخ . فقد صاغ أفعل التفضيل من (صرخ) ونحن نعلمُ أن أفعال الغرائز لا يصاغ منها أفعل التفضيل أو التعجب على وزن (أفعل) بل يتوصل إلى ذلك بالاتيان بأشد أو أكثر أو أوسع أو نحوها منصوباً بعدَها المصدر على المفعولية في التعجب وعلى التمييز في التفضيل فنقول : ما أشدَّ صراخه وهو أشدُّ الناس صراخاً . وهذا ما ينطبق على قول المؤلف : وأضحك ما في الأمر (ص ٥٩) . فمن المفروض أن يكون أفعل التفضيل هذا من الرباعي الذي هو أضحك ولذلك فلا يجوز أن يصاغ على وزن (أفعل) بل نأتي بمصدره الذي هو الإضحاك منصوباً على التمييز بعد أشد أو أكثر أو نحوهما فنقول : وأشد ما في الأمر إضحاكاً . ويجدر بنا أن ننبه هنا إلى ملاحظتين : الأولى أنّ بناء التفضيل من (صَرَخَ)

مضافاً إلى الدليل أو الأدلة غير ممكن وغير مقبول بأية حال من الأحوال فلا يمكن أن نقول : هذا أصرح الأدلة ولا هذا أكثر الأدلة صراحاً لعدم وروده عن العرب .أما ما ورد عن العرب فهو قولهم : أثبت الأدلّة وأنصعُها وأبينُها وأقطعُها . أما الملاحظة الثانية فهي أن فعل (ضحك) لا يصاغ منه أفعل التفضيل على وزن أفعل لا ثلاثياً ولا رباعياً للأسباب التي أبديناها سابقاً .

ورد (ص ٨٣) قوله : والمهم أنا كنا نستمع كل يوم من هؤلاء الطلاب الكبار خطباً مرتجلة بالعربية الفصحى لا تلعثم فيها بل **تدفقاً وسلاسة** . فنصب تدفقاً وسلاسة وكان الواجب أن يرفعهما لأن بل هنا حرف ابتداء لا عاطفة والتقدير لا تلعثم فيها بل فيها تدفق وسلاسة ثم إنَّ (بل) يثبت لما بعدها ما لا يثبت لما قبلها ولهذا وجب اختلاف الحكم الإعرابي بينهما .

وورد في الصفحة نفسها قوله : ولست أعرف الآن هل كانت خالية من اللحن أو لا . والصحيح أن تصاغ هذه العبارة كما يلي : ولست أعرف أكانت خالية من اللحن أم لا . وهذا مشابه لقول القرآن : وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون . ولم يقل وإن أدري هل قريب أو بعيد ما توعدون . والسبب في ذلك ما يلي :

١) أن (هل) لا تجيء للتصور بل للتصديق .
٢) أن (هل) لا يؤتى بها بمعادل .
٣) أن الجملة المشار إليها لا تتضمن استفهاما بل تسوية بين طرفين ناتجة عن الشك بوقوع أيّ منهما .
٤) وضابطُ ذلك كلّه أن الجملة التي دخلت عليها الهمزة يصح حلول المصدر محلّها . فنقول : لست أعرف خلوَّها من اللحن وعَدَمه .

ورَدَ (ص ٨٨) قوله : ومعَه سوريّون أعوان والصحيح أن يقول : ومعه أعوان سوريون لأن الصفة تتأخر عن الموصوف ولا تتقدم عليه . ولا يعكس ذلك إلا في الشاذ النادر .

ورد (ص ٩٧) ما يلي : وأن فرصة ستتاح يوماً ما للمخلصين الغير من سدنة اللغة **فيطهروا** هذه الأجهزة . فنصب بالفاء دون داع،إنها ليست الفاء السببية بل العاطفة أو الاستئنافية ولذلك فيجب أن يرفع الفعل بعدها لا أن ينصب . فيقول فيطهرون الأجهزة .

وَرَد (ص ١٣٠) ما يلي : ولا بأس في أن أترك للمرحوم الأستاذ محمد كرد علي يصف حال اللغة العربية . وهذه الجملة يجب أن تصحح على أحد وجهين . فإما أن يقال : ولا بأس في أن أترك للمرحوم محمد كرد وصف الخ أو أن يقال : فلا بأس أن أترك المرحوم محمد كرد علي يصف . أما نص العبارة كما هو وارد في الكتاب فهو مهلهل وضعيف .

وَرَد (ص ١٣٧) قوله : أفيد بكثير . وهذا أفعل تفضيا من الرباعي (أفاد) . فيجب أن يقال : أكثر فائدة .

ومن هفوات المؤلف أو مزالقه النحوية ما يتعلق بباب العطف . والعطف موضوع دقيق يجب أن يراعى فيه تناسب الطرفين وتكافؤهما تمسكاً بفصاحة العبارة وجمال الصياغة وهذه أمثلة على ذلك :

ورد (ص ٧) ما يلي :أن يدعوا هم الغيرة عليها وحمايتها . والصحيح أن يقول : أن يدعوا حمايتها والغيرة عليها ، لأن من شروط العطف أن يتقدم ما يتعدى فيه إلى مفعوله مباشرة على ما يتعدى إليه بحرف الجر . فنقول : كرهه واشمأز منه وأحبه وحنا عليه ولا نعكس . ومشتقات الفعل تتبعه في ذلك كما في العبارة المذكورة . فإن احتج المؤلف بأن الغيرة تسبق الحماية من حيث الزمن أجبنا عن ذلك بأنَّ من مميزات الواو أنها تعطف دون اعتبار للزمن كما قال ابن مالك :

فاعطف بواو لاحقا أو سابقا في الحكم أو مصاحباً موافقا

ومن هذا القبيل قوله (ص ١٧١) فأهملنا السهر عليها وصيانتها . والصحيح فأهملنا صيانتها والسهر عليها .

ورد (ص ٢٣) قوله : يقيمون للناس صلواتهم وخطب الجمع والأعياد وبقية الشعائر . وهذه العبارة تصحح على أحد الوجهين التاليين :

١) يقيمون للناس صلواتهم وخطب الجمعة والأعياد وبقية الشعائر المتعلقة بهم .
٢) يقيمون للناس الصلوات وخطب الجمعة وبقية الشعائر .

أما أن يُلحقَ ضمير الغائبين بالمعطوف عليه دون المعطوف فهذا مناقض لأصول العطف إذا لا بدَّ أن يكون تكافؤ بين المتعاطفين .

ورد (ص ١٩) قوله : أما فلسطين فيكاد يكون لكل دولة أجنبية مسيحية مدرسة فيها وإرسالية . والصحيح ألا يُفصلَ بين المعطوف والمعطوف عليه بالظرف فيقال : مدرسة وإرسالية فيها لا مدرسة فيها وإرسالية .

ورد (ص ١١٠) قوله : في أحوال غير مواتية وزمان صعب **وعدو متربص** . والخطأ في الجملة كامن في عطف عدو متربص على أحوال وأزمان . لا شكَّ أن هنا صلة بين الأحوال والزمان ولكن ما هي الصلة الجامعة أو الصفة المشتركة التي تربطهما بالعدو المتربص ؟ وإذا استغنينا عن

الأحوال والزمان وابقينا العدو وحدها فاذا يحصل ؟ انا اذا فعلنا ذلك استحالَ المعنى وأصاب جملتنا الضعف والوهن فتبقى كما يلي : قبض الله لهذه المدرسة معلمين أحسنوا خدمة رسالتهم نحواً من عشرين عاماً في **عدو متربص** . والركاكة في جزء الجملة الأخير بادية بوضوح .

ورد (ص ٩٧) قوله : ثم لا يستحيون أن ينصبوا أنفسهم لأصول تدريس العربية أو أعضاء في مؤسسة عربية . إن (أعضاء) هنا ليس لها ما تعطف عليه إذ لم يسبقها اسم صالح لذلك . وهذا دليلٌ على فساد الجملة . والصحيح أن تصاغ كما يلي : لا يستحيون أن ينصبوا انفسهم قيّمين على تدريس العربية أو أعضاء في مؤسسات عربية .

أنتقل بعد ذلك إلى ما أطلق عليه ابن الأثير اسم المؤاخاة بين المعاني والمؤاخاة بين المباني . وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم التناسب أو التكافؤ أو المشاكلة . وللاستاذ المؤلف بهذا الشأن مخالفات متعددة وهذه بعض الأمثلة :

قال (ص ١٠) ما يلي : نحن في كل ذلك ننعم بنثر رفيع ولغة مشرقة وبيان سلس وشعر جيد وحياة أدبية . إنّ الفقرة الأخيرة من هذه السلسلة العطفية قلقة وغير متناسبة لنظيراتها السابقات هذا بالاضافة إلى أنها لا تضيف فضل معنى البتة . ولعل هذا القلق منبثق من أن الحياة الأدبية وحدها لا تعني شيئاً حتى يعقبها ما يرفعها إلى مستوى نظيراتها أداء ودلالة . فقد تكون الحياة الأدبية راقية خصبة وقد تكون الحياة جدباء . إذن فهي بحاجة الى فضل وصف حتى ترتفع إلى مستوى نظيراتها وتستحق الوقوف معهنّ على قدم المساواة . وقد يكونُ اتباعها بلفظة (راقية) كافياً لحل المشكل . ولكن ألا يرى القارئ أن الاستغناء عنها هو الاسلم والأفضل ؟

وقال أيضاً في الصفحة نفسها : ليروا راية لغتهم مرفوعة وسيادة أمتهم حقيقة . ومقتضى الكلام أن يقول : ليروا راية لغتهم مرفوعة ، وسيادة أمتهم موفورة . فهي على صيغتها الأولى مبتورة . وقد تتلافى هذا البتر اذا أتبعناها بوصف مناسب كأن نقول حقيقة واقعة . يقول ابن الاثير في المثل السائر عن هذا البتر ما يلي : ثم يجيء الفصل الثاني قصيراً عن الأول فيكون كالشيء المبتور فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها .

وقال (ص ١٩) : فعاش كريماً خيّراً ، ومات فقيداً حميدا .

إنّ لفظة (فقيد) هنا أخلت بالتكافؤ المعنوي بين الفاصلتين لأنها لا تُضيف فضل معنى وهي حال مؤكدة لا داعي لاستعمالها ولا لزوم لها ومن تحصيل الحاصل أن يكون الميت فقيدا . فقد كان على المؤلف أن يبحث عن لفظة تناسب (كريما) في الفاصلة الأولى فيقول مثلا : عاش كريماً خيرا ومات عزيزاً حميدا .

قال (ص ٩٧) ما يلي : ولو تشبث بأستار الكعبة وتظاهر بوداعة القديسين أهل السلامة . فمن له أدنى نصيب من الحاسة البيانية يعلم أن الجملة الثانية تنتهي عند لفظة القديسين . وأن (أهل السلامة) لم تكن إلا حشواً . إنّ حسن المزاوجة بين الجمل يقتضي ذلك . هذا فضلاً عن أن (أهل السلامة) لا تضيف معنى ولا تجيء بجديد وهي من الركة والابتذال بمكان بعيد .

قال (ص ١٣٢) ما يلي : إلى ما هنالك من أسئلة **القيت** وحجج **تودي** بحجج أقوى الانصار الجدلين . لقد أخلّ المؤلف هنا بنظرية التكافؤ التي أشرنا إليها سابقاً . فقد وصف المعطوف عليه (أسئلة) بجملة ماضوية ووصف المعطوف (حجج) بجملة حالية (مكونة من فعل مضارع) . وهذا ليس لهما يسوغه من وجهة جمالية بحتة . وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك في قوله : إعلم أنه اذا كانت الجملة من الكلام مستقبلة فوليت مستقبله واذا كانت ماضية فوليت بماضية الخ .

ومن هذا القبيل قوله (ص ١٨٥) : فالعرب في ساحل الشام كالعرب في داخله دماً وأصولاً وآلاماً وآمالا . فقد أفرغها [illegible] ثلاثة جموع . وكان الواجب أن يستعيض [illegible] وقد أخذ النقاد على مسلم بن الوليد قوله :

فاذهب كما ذهبت غوادي مزنة بثني عليها السهل والأوعارُ.

قال ابن الأثير : والأحسنُ أن يقال السهول والأوعار أو السهل والوعر ليكون البناء اللفظي واحداً أي أن يكون اللفظان واردين على صيغة الجمع والافراد . وإذا أنصفنا هذا الموضع وجدنا النائر مطالباً به دون الناظم لمكان إمكانه من التصرف . وكلام ابن الأثير ينطبق تمام الانطباق على عبارة المؤلف المذكورة .

وننتقل الآن إلى ضرب آخر من المآخذ وهو ينحصر في مجموعة من العبارات التي تتسم بالركاكة والسقم . والركاكة تعني ضعف التأليف وهلهلة النسج . وهذه أمثلة على ذلك :

ورد (ص ٥) قوله : هي تزيك العناصر بالحديد والنار . وهو يعني بالعناصر مختلف الطوائف والشعوب التي كانت الدولة التركية تتكون منها . ولكن هل هذه اللفظة كافية لتحديد ما يرمي إليه المؤلف ؟ ولو كانت اللام في (العناصر) للعهد الذكري أو الذهني أو الحضوري لما كان ثمة التباس . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن لفظة العناصر ليست محددة الدلالة خصوصاً أنها هنا استعملت على سبيل المجاز ولذلك فكان يجب أن يعقبها من الصفات ما يحدد دلالتها ويثبت معناها

فكان يجب أن يقول : العناصر التي تقوم عليها أو تتألف منها الدولة : حتى تصحّ العبارة ويتضح المعنى .

ورد (ص ٨) قوله : وما اللهجات العامية مثلاً إلا أمراض **تقهقرية** ألمت باللغة **الجامعة** . وكلمة (تقهقرية) هنا قلقة نابية . اني لا أعرف أنّ في الدنيا أمراضاً تقهقرية وأخرى تقدمية . أما قوله : اللغة الجامعة ، وهو يعني بها العربية الفصحى : فهو تعبير قلق أيضا كما أنه ليس صحيحاً من الناحية الواقعية . فهل المؤلف يعترف باللهجات العامية كفروع مستقلة عن اللغة الأم كما تفرعت اللغات الأوروبية من اللاتينية ؟ لا شكّ أنّ اللاتينية هي اللغة الجامعة بالنسبة لما تفرع منها ولكن هل العربية كذلك ؟ وهذا القول ينطبق على قوله (ص ١٦٣) : إنشاء لغة فصحى جامعة . كأن هذه اللغة غير موجودة ولا قائمة .

ورد (ص ٩) قوله : واذا كنت جعلت على المحاضرات عنوان الشام . وهذا تعبير ركيك جداً . ولو قال : ولو كنت أطلقت على هذه المحاضرات عنوان (الشام) ، لأصاب شاكلة الرمي . وهو يعني بذلك أن عنوان المحاضرات كان في الطبعة الأولى للكتاب (حاضر اللغة العربية في الشام) ولكنه غيّر عنوان المحاضرات أو الكتاب وأبقى المقدمة كما هي . وكان جديراً به تغيير المقدمة بما يناسب العنوان .

ورد (ص ١٤) قوله : فما الذي عصف بشأن اللغة العربية في ديار الشام إلى الحضيض ؟ والركاكة ظاهرة على هذه العبارة لأنها غير محددة الدلالة . وقد نستقيم لو صغناها على الشكل التالي : فما الذي أوصل اللغة العربية إلى هذا المستوى المتدني ؟

ورد (ص ١٤) أيضاً قوله : ولم يبق من هذه العلوم إلا القدر **المحتاج إليه** في تخريج قضاة . ولو استعاض من المحتاج إليه باللازم أو الضروري لتجنب هذه الركاكة والضعف . ان اللازم أو الضروري هما المستعملان في هذا المقام وأما (المحتاج إليه) فهي بادية الشذوذ والكراهة .

ورد (ص ٢٢) قوله : والدعاية للدول التي إليها ينتمي . والأفصح والأصح أن يقول والدعاية للدول التي ينتمي إليها . فيقدمُ الفعل على شبه الجملة . لأن الفعل يقع عادة في صدر صلة الموصول ولا يتقدم عليه شيْ من متعلقاته إلا في شعر أو سجع .

ورد (ص ٣٥) قوله : فأنشأ ثلاث غرف قراءة عامة . والركاكة تكمن هنا في هذه الاضافات المتلاحقة المتعاقبة . وتعاقب الاضافات من مطاعن الفصاحة ألا تراهم عابوا على الشاعر قوله :

حمامة جرعا حومة الجندل اسجعي
فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

ورد (ص ٤٣) قوله : فأصبحت قضية اللغة العربية في البلاد العربية **المطلب** الأول بكل جمعية ونادٍ . والركاكة هنا تكمن في العجز عن التعبير الصحيح ونقل المعنى الدقيق . إن قضية اللغة العربية لا يمكن أن تكون مطلباً لأنها شيْ غير محدد . ومطالب النوادي والجمعيات تكون عادة واضحة محددة . وتصحيح هذه الجملة يتم على أحد وجهين :

فإما أن نقول : فأصبح رفع مستوى اللغة العربية المطلب الأول لكل جمعية ونادي . أو : فأصبحت قضية اللغة العربية الشاغل الأول لكل جمعية ونادي .

ورد (ص ٤٨) قوله : وربما وجد أفراد ملهمون جمجموا في أنفسهم بتحرى طريق للانتقاض . وجمجم يتعدى مباشرة إلى مفعوله فما ضرورة حرف الجر هنا ؟ انها عبارة مضطربة لم أفهم ما يقصد بها المؤلف .

ورد (ص ٥٩) قوله : أما الميدان الأول فما قدمت الإشارة من تغذية الجماهير بالروح العربية . إن تغذية الجماهير بالروح العربية استعارة عجيبة غريبة . إن الروح لا يمكن أن تكون غذاء . ولو قال : من بث الروح العربية في نفوس الجماهير ، لاستقام الكلام .

وقال في الصفحة نفسها : سمعوا خطباً وقصائد حماسية تنبض عواطفها إلى نفوسهم . سامح الله الأفغاني لقد شبه الخطب والقصائد بالأمراض السارية . فجعلها تنشر العدوى وتنتقل من انسان إلى آخر . أليست هذه استعارة قبيحة ؟

ورد (ص ٦٩) قوله : ما أعانَ على نجاح التخطيط نجاحاً سريعاً راسخ الأصول . ولست أعرف إن كان ثمة ضروب مختلفة للنجاح فنجاح راسخ الأصول ونجاح غير راسخ . إن هذا الكلام غير مفهوم إلا أنه نوع من الحشو .

ورد (ص ٨٩) قوله : لم تقتصر هذه اللصوصية على امتحانات البكالوريا بل صار مألوفاً لهذه السلطة في أكثر ما تعقد من مسابقات . ومن الواضح أن (مألوفا) تعود إلى اللصوصية فيجب أن تكون (مألوفة) ولا أرى موجباً للتذكير هنا .

ورد (ص ٩٠) قوله : بأروع بيان **عربي سليم** . إن هذا تعبير ركيك . والسرُ في ركاكته يكمن في أن المؤلف وصف المضاف إليه (بيان) في حين أنّ الاسم الذي يضاف إليه أفعل التفضيل لا يكون بحاجة لأن يوصف . ولعل علة ذلك أن التفضيل بذاته اطلاق والوصف تحديد وتقييد . وهما متناقضان . إن العرب تقول : أحسن مظهر وأجلى بيان وأروع منطق

وأجمل وجه ولا تزيد على ذلك . ومن البديهي في العبارة السابقة أن (سليم) حشو لأن أروع بيان لا يمكن أن يكون غير سليم . وكذلك (عربي) لأنه لن يخطر ببال انسان أن المؤلف يعني البيان الانكليزي مثلاً .

ورد (ص ٩٩) قوله : ويكتب بلغة سليمة لا خطأ فيها في الإملاء ولا لحن في **العربية** . ولا أعرف ما الذي دعا المؤلف لوضع (العربية) هنا . إن أحدا لن يشكّ في أنه يتحدث عن العربية . والعربية هنا لا موضع لها . وصحة العبارة في أن تصاغ كما يلي : لا خطأ في الاملاء ولا لحن في القراءة .

ورد (ص ١٤١) قوله : وأنت اذا صفحت معي هذا المجلد الثاني راعك تكاتف هؤلاء العلماء بلغتهم علمهم بطبهم على حرث كتب الطب العربية . وهذا كلام غير مفهوم . إنه يعاني من الاضطراب والاختلال .

ورد (ص ١٤١) قوله : والخير في أن نمضي معاً في صفحات هذا المجلد نقع على ضروب من رحيقها نستمتع . وهذا كلام مضطرب ركيك وتعليل أسباب الاضطراب فيه يقودنا إلى الاطالة فلنكتف بتصحيح النص على الوجه التالي : والخير في أن نمضي معاً في تصفح هذا المجلد فنقع على ضروب من رحيقه اللغوي نستمتع بها .

ورد (ص ١٤٣) قوله : فنقطع أنه كتب في عهد السلامة بالعربية ابتداء . وهذا كلام أفغاني لا عربي وترجمته هي : فنقطع أنه كتب في عهد الفصاحة العربية .

ورد (ص ١٤٧) قوله : ولا أنس حفلة اقيمت في ساحة الشهداء بدمشق **ذكرى** شهداء السادس من أيار . وهنا يحار المعرب في معرفة مكان ذكرى من الاعراب . وظاهر المعنى يقتضي نصبها على الظرفية بتقدير في . وبما أنّ ذكرى لا تصلح أن تكون ظرفاً فالأحرى أن يكون في الجملة خلل واضطراب . وتستقيم العبارة لو قال : في ذكرى أو بمناسبة ذكرى الخ .

والأستاذ الأفغاني بالاضافة إلى كل ما ذكرنا من أخطائه ومآخذه مولع باستعمال الشواذ والنوادر وما لا يقبله الذوق من التراكيب الملتوية والتعابير الخارجة عن حدود الفصاحة . ومن هذه الشواذ والنوادر تذكيره الفعل المسند إلى المؤنث الحقيقي في حالة وقوع فاصل بينهما . والقاعدة تقول إن التذكير جائز ولكن التأنيث أفصح وأجود فلماذا الاصرار على التذكير الذي ينفر منه الذوق في معظم الأحيان . ولنتأمل بعض الأمثلة على ذلك .

قال (ص ٣١) : شارك العرب في الجمعيات المؤلفة سراً . وكان هذا هو الخطوة الأولى . وليت شعري علام يعود ضمير المذكر هنا . إنّ الضمير يجب أن يؤنث لأنه يعود إلى المشاركة المستفادة من لفظ (شارك) المذكور . ولذلك فالصحيح أن تقول : وكانت هذه هي الخطوة الأولى .

قال ص ٤٢ : أثبت هذا كله لأثبت ما **كان** عليه حماسة أهل الشام .

قال ص ٥٨ : **أفسدها** الرشوة والفوضى والاتكالية .

قال ص ٨٨ : **تبرم** بهذا كله المدارس الأجنبية .

قال ص ١٠٠ : ويمكن أن **يلحق** به فترة قصيرة .

قال ص ١١٠ : **وانتفع** بهم أجيال .

ولئن تذرع الأستاذ المؤلف بالفصل في الأمثلة السابقة فهم يتذرع في قوله : **وكانَ** إشاعة اللغة العربية من أهم مبادئ الجمعية ، والاتصال حاصل بين الفعل والفاعل المؤنث ؟ ألا يرى أن التذكير في جميع هذه الحالات كريه ومجوج وأنّ الأصل هو التأنيث ؟

ومن الشذوذ الذي يرتكبه الأفغاني تجريد خبر كان من (قد) إذا كان جملة فعلية ماضوية . إن البصريين يتمسكون بحرف التحقيق في هذا الموضع . أما الكوفيون فيجيزون مجيئه مجرداً من قد ولكنهم لا ينكرون أن الأصل هو الثبوت **واذا كان** الأمر كذلك فلماذا يصر الأستاذ الأفغاني على الاستغناء عن (قد) في كل المواضع ؟

وهذه أمثلة على ذلك .

قال (ص ٣١) : ويظهر أن السلطان عبد الحميد كان **رفض** (رفضاً باتاً الخ .

قال (ص ٨١) : كانوا يهتفون بنشيد كان **نظمه** أحدهم الخ .

قال (ص ٨١) : وقد كانت **بدأت** قبل بضع سنين .

ولم يكتف المؤلف بهذا بل أدخل واو الحال على خبر كان في هذا المثال : وكان من لطف نظر الله لهذا العهد أن كانَ حاكمه العسكري **وقد قبض** الخ . مع العلم أنّ دخول الواو غير جائز هنا .

وما دام الحديث عن كانَ فلا مانع أن نورد هذه الجملة المهلهلة عنها (ص ٢١٦) : لقد حصدنا بعض الخسائر التي **كانت تكون** أكثر لولا الخ وليس هذا فقط ، فقد اشتق المصدر من خطأ على تخطيء ص (١٠٦) ومن نشأ على تنشيء . والصحيح أن يصاغ المصدر من الفعل المضعف المهموز اللام على وزن تفعلة لا تفعيل . ومجيئه على تفعيل شاذ وقليل الاستعمال .

وقبل الانتهاء من هذه الجولة المتأنية في كتاب الأفغاني نورد مجموعة من الأخطاء الشائعة التي تضمنها . ولن نقف عند هذه الأخطاء طويلاً فحسبنا تسميتها وتعيينها وهي ألفاظ استعملت في غير ما هي له أو في غير ما ينبغي أن تكون لها من الأوضاع . من هذه الألفاظ جمع (مجد) وهو مصدر على

(أمجاد) والمصدر لا يجمع . أما أمجاد فهي جمع (مَجيد) . (ومداخلات) بمعنى تدخل ولقد أشارَ الى خَطَأ استعمالها عدد من المدققين اللغويين . و (أضفى عليها) . ولم يرد في معاجم اللغة هذا الاشتقاق . و (أعدَم) بمعنى أفقده حياته وقضى عليه في حين أنها فعلٌ لازم بمعنى أصبح فقيراً ولا تتعدى فاستعمالها بهذا المعنى خطأ . و (بدونه) والصحيح دونه ومن دونه . ودخول الباء عليها خطأ شائع (الشيبة) مصدر شبَّ أما استعمالها جمعاً لشاب فهو خطأ شائع . (قيم) تستعمل بمعنى ثمين والصحيح استعمالها بمعنى مشرف أو مراقب أو رب بيت . (أنجبتهم) بمعنى ولدتهم ونسلتهم وهذا خطأ شائع فأنجب فعل لازم لا متعدي . (مطلقاً) بمعنى البتة وهذا خطأ شائع . (المرير) بمعنى المر لم يرد هذا الاستعمال في اللغة ولمرير معان أخرى منها المحكم والمفتول . (استتم عقدها) والصحيح تمَّ لأن استتم متعد واستعماله لازماً خطأ . (بذرت غراسها) إن الغراس لاتبذر إن الذى يبذر هو الحَبُّ أما الغراس فهي تزرع . (تلذُّ) معرفتها الناس . ولذَّ تتعدى باللام لا مباشرة . (عُهِدَت إليه) والصحيح عهدَ بها إليه . (المصطنعة) والصحيح المصنوعة أو المتكلفة . (نواياهم) لم يرد هذا الجمع في معاجم اللغة والصحيح نيات . (سابق على) وسبق لا تتعدى بعلى بل مباشرة فالصحيح أن يقول : (متقدم على) . هذه بعض الأخطاء اللغوية التي عثرت عليها في الكتاب لم أقف عندها طويلا لأني أشعر أني أطلتُ .

إلى هنا أحبس عنان القلم راجياً التنبيه إلى أن ما ذكرته هو جزء من مآخذ الكتاب وهفواته ولو أردت الاستقصاء لما عجزت عن الاتيان بكل عجيب وغريب من مزالق الأستاذ الأفغاني التي لم يتسع المجال لكشفها واظهارها . إن كتابة الأستاذ الأفغاني في عمومها ركيكة سقيمة وهذا يقودنا بالضرورة إلى التفكير في جدوى الأساليب التعليمية القديمة العقيمة التي تفرض على الطلبة في الجامعات العربية . ما جدوى أن يحفظ الأستاذ الأفغاني الفية ابن مالك وأن يُدلَّ بفهمه الواسع لكتاب (المغني) لابن هشام . وأين وجه الحق في اصراره على حرمان احد الطلبة من النجاح لأنه كتب (أُحادها) بدل (أحدها) كما يذكر في كتابه هذا (ص ٨٨) : بل ما قيمة الحافظة اذا كان صاحبها مجرداً من الذوق والحاسة الفنية ؟ هذه أسئلة يُوحي بها إليَّ هذا التعليق اللغوي على كتاب الأفغاني وأرى أن الاجابة عنها تخرج بنا عن الموضوع . فلنرجئ ذلك إلى موضع آخر راجين أن نكونَ قد أفدنا وأوضحنا والله ولي التوفيق .

جميل علوش

اشتركوا في :
البيان
ملتقى الاقلام الحرة

الاديب
تصدر في مطلع كل شهر
يساهم في تحريرها
ادباء العربية من
الخليج الى المحيط
تحمل
اليكم
الانباء الثقافية والأدبية
في العالم العربي

إقرأ
الرائد
المجلة الاسبوعية الفكرية الجريئة
تصدرها جمعية المعلمين الكويتية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التقت في القاهرة مناسبتان، مناسبة مولد الزعيم القائد البطل جمال عبد الناصر ومناسبة الاحتفال ببناء السد العالي بأسوان فألقى الشاعر محمد عبد الغني حسن القصيدة التالية في هذه المناسبة:



يارُبَّ مَغرب فتّان

للشاعر: محمد عبد الغني حسن

أيُّ معنى في ذلك البنيان ... أعجزته إدارةُ الانسان ؟
لم تُقمه يدُ الرجال من الصخر ... ولكنْ من قوة الإيمان
هو عنوان أمة قد أرادت ... نحتَ تاريخها بأجلى بيان
فيه دَفْقَ المياه من جَنْدل النهر ... ووَجْهُ الصخور من (أسوان)
يتحدَّى الزمان في إصرار ... وعنادٍ على تحدِّى الزمان

• • •

أيها النيل يا مفيض العطايا ... ومُشيع الخيرات في البلدان
تبسطُ الرزقَ من يديك ولكن ... في انطلاق النَّدى بلا ميزان
كلَّ عامٍ يضيع ماؤكَ في البحر ... فلا ترتوى به الضفتان
سَرَفٌ في العطاء جاوز حدًّا ... وتناهٍ في البذل والإحسان
عَجَباً تُغرِقُ البحار بفيض ... والصحارى ظمآنةُ الكُثبان
ما الذى ضَرَّ لو مددت -كريما- ... قطرةً عَذْبةً الى ظمآن؟

• • •

يا إلهاً قد أصبح اليومَ عبدا ... صار عَهْدُ الملوك في نسيان
الفراعينُ آلهتك قديماً ... وتدانتْ اليكَ بالقُربان
طأطأتْ هامةُ الملوك، ودانتْ ... لكَ أعلى الجباهِ بالأذعان
تترضَّاك بالعبادة فرضاً ... والأناشيد حلوةً والأغاني
الهدايا تُساق نحوك سَوقاً ... من بديع الصنوف والألوان
ما الذى حدَّ في الحياة فأضحتْ أسيرا في قبضة الانسان؟
طائعاً، خاشعاً، يسخرك العلم ... وتحويكَ راحةُ العرفان ؟

• • •

رفعوا السدَّ دون مجراك صدراً ... يتلقَّى نَداك بالأحضان
لم تَعُدْ مُتلف العطاء ولا مُسـ ... ـرِفَ كفٌّ، ولا طليقَ بنان
يا حبيسا مثل السَّجين المعنَّى ... وسجينا مثل الأسير العاني
ليس بدْعاً أن قيدوك وشادوا ... لك سدًّا موَّطدَ الأركان
قد تُصانُ السيوفُ في أغمادٍ ... وتُحاط العيون بالأجفان
وكذا العطر -وهو أطيبُ شيْ- ... قد حبسناه في بطون القناني..

• • •

نحن في ليلة تَجمَّعُ فيها ... ذكرياتٌ وَيلْتقى عيدان
إن ميلاد (ناصر) كان بُشرى ... مولدِ الحقِّ في ضمير الزمان
فعلى صُبحه تألقَّ فجرٌ ... وَصَحتْ أمةٌ، وحُرِّر عاني
إن تكن للغروب قد مالت الشمس فيارُبَّ مَغْرب فتَّان ! !
لم يمت قائدٌ يعيش مثالا ... قائما في الضمير والوجدان
لم تمت أمةٌ قلوبُ بنيها ... نُحِتَتْ من حجارة الصَّوَّان

أبو تمّام وعروبة اليوم

ما اصدق السيف ! ان لم ينضه الكذب
واكذب السيف ان لم يصدق الغضب

بيض الصفائح اهدى حين تحملها
ايد اذا غلبت يعلو بها الغلب

واقبح النصر نصر الاقوياء بلا
فهم سوى فهم كم باعوا وكم كسبوا

ادهى من الجهل علم يطمئن الى
انصاف ناس طغوا بالعلم واغتصبوا

قالوا هم البشر الارقى وما اكلوا
شيئا كما اكلوا الانسان او شربوا

□□

ماذا جرى يا ابا تمام تسألني ؟
عفوا ساروي ولا تسأل وما السبب

يدمي السؤال حياء حين نساله
كيف احتفت بالعدا «حيفا» او «النقب»

من ذا يلبي ؟ اما اصرار معتصم
كلا واخزى من « الافشين » ما صلبوا

اليوم عادت علوج الروم فاتحة
وموطن العرب المسلوب والسلب

ماذا فعلنا ؟ غضبنا كالرجال ولم
نصدق وقد صدق التنجيم والكتب

فاطفات شهب « الميراج » انجمنا
وشمسنا وتحدت نارها الخطب

وقاتلت دوننا الابواق صامدة
اما الرجال فماتوا ثم او هربوا

حكامنا ان تصدوا للحمى اقتحموا
وان تصدى له المستعمر انسحبوا

هم يفرشون لجيش الغزو اعينهم
ويدعون وثوبا قبل ان يثبوا

الحاكمون « وواشنطن » حكومتهم
واللامعون وما شعوا ولا غربوا

القاتلون نبوغ الشعب ترضية
للمعتدين وما اجدتهم القرب

لهم شموخ « المثنى » ظاهرا ولهم
موى الى « بابك الخرمي » ينتسب

□□

ماذا ترى يا « ابا تمام » هل كذبت
احسابنا ؟ او تناسى عرقه الذهب

عروبة اليوم اخرى لا ينم على
وجودها اسم ولا لون ولا لقب

تسعون الفا « لعمورية » اتقدوا
وللمنجم قالوا اننا الشهب

قبل انتظار قطاف الكرم ما انتظروا
نضج العناقيد لكن قبلها التهبوا

واليوم تسعون مليونا وما بلغوا
نضجا وقد عصر الزيتون والعنب

تنسى الرؤوس العوالي نار نخوتها
اذا امتطاها الى اسياده الذنب

□□

« حبيب » وافيت من « صنعاء » يحملني
نسر وخلف ضلوعي يلهث العرب

ماذا احدث عن « صنعاء » يا ابت ؟
مليحة عاشقاها السل والجرب

مانت بصندوق « وضاح » بلا ثمن
ولم يمت في حشاها العشق والطرب

كانت تراقب صبح البعث فانبعثت
في الحلم ثم ارتمت تغفو وترتقب

لكنها رغم بخل الغيث ما برحت
حبلى وفي بطنها «قحطان» او «كرب»

وفي اسى مقلتيها يغتلي « يمن »
ثان لحكم الصبا ينأى ويقترب

□□

« حبيب » تسأل عن حالي وكيف انا
شبابة في شفاه الريح تنتحب

كانت بلادك « رحلا » ظهر « ناجية »
اما بلادي فلا ظهر ولا غبب

ارعيت كل جديب لحم راحلة
كانت رعته وماء الروض ينسكب

للشاعر اليمني عبدالله البردوني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورحت من سفر مضن الى سفر ... اضنى لان طريق الراحة التعب

لكن انا راحل في غير ما سفر ... رحلي دمي وطريقي الجمر والحطب

اذا امتطيت ركابا للنوى فانا ... في داخلي امتطي ناري واغترب

قبري وماساة ميلادي على كتفي ... وحولي العدم المنفوخ والصخب

□□

« حبيب » هذا صداك اليوم انشده ... لكن لماذا ترى وجهي وتكتئب

ماذا اتعجب من شيبي على صغري ... اني ولدت عجوزا كيف تعتجب

واليوم اذوي وطيش الفن يعزفني ... والاربعون على خدّي تلتهب

كذا اذا ابيض ايناع الحياة على ... وجه الاديب اضاء الفكر والادب

وانت من شبت قبل الاربعين على ... نار « الحماسة » تجلوها وتنتخب

وتجتدي كل لص مترف هبة ... وانت تعطيه شعرا فوق ما يهب

شرقت غربت من وال الى ملك ... يحفك الفقر او يقتادك الطلب

طوفت حتى وصلت الموصل انطفأت ... فيك الاماني ولم يشبع لها ارب

لكنّ موت المجيد الفذ يبدؤه ... ولادة من صباها ترضع الحقب

□□

« حبيب » ما زال في عينيك اسئلة ... تبدو وتنسى حكاياها فتنتقب

وما تزال بحلقي الف مبكية ... من رهبة البوح تستحيي وتضطرب

يكفيك ان مدانا اهدروا دمنا ... ونحن من دمنا نحسو ونحتلب

سحائب الفزو تشوينا وتحجبنا ... يوما ستجبل من ارعادنا السحب ؟

الا ترى يا « ابا تمام » بارقنا ... (ان السماء ترجى حين تحتجب)

(اليمن) **عبد الله البردوني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ألقيت في مهرجان أبي تمام الذي أقيم في مدينة الموصل مؤخراً ...

الليل والمدينة

حتى الشوارع ...
افرغت اشداقها الا من الجرذان
والقطط اللعينه .
ورواسب الاقذار تصفعها الرياح .
والحارس المغرور يجتر الترانيل الحزينه
ويجهد مكروه على سفر يسير
عيناه قنديلا دم ،
وبحيرتنا صدا .. ونار
جفناه خاتمة احتضار .
فتساقطي يا عاشقات الليل
في فلك المدينه .
وتراقصي ..
فالموت اوله غناء
وتكدسي بقيا قصاصات ورق .
مهما تفجر في حناياك ،
فقد همد الاوار ،
في ضلوع الحارس المغرور
وانطفا الشعاع .
مهما احتواك الليل ، هذا الليل
مزمار وناي .

محمد زين جابر
برج البراجنة ــ لبنان

الشاعر

انت في حزنك شفاف وفي صمتك عابد
انت روح من ضياء بين هذا الكون رائد

•

انت بدر يحمل البشرى لكل النائهينا
وصفاء في الدياجي يملا القلب يقينا

•

انت غصن وارف الظل ندي النفحات
ترتجيه كل نفس في مساء او غداة

•

انت روض ينفح الدنيا بعطر الاغنيات
فيصير الشعر محرا والاماني صلاة

•

انت عود يرسل الالحان تزهر كالنجوم
فاري الاحزان تهوي في انكسار ووجوم

•

فاذا غرد طير قلت هذا سحر فنك
واذا مجد تراءى خلت هذا ضوء قلبك

•

كم ارى غيرك ياتي خاطبا ود زمانه
لاهثا خلف الاماني لا يبالي بامتهانه

•

ثم تاتي نائرا روحك في عطر الخمائل
فيفيض الحب رقراقا على ماء الجداول

•

انت في كل طموح ناشد روح الحقيقة
باسم في كل مجد كان للدهر رحيقه

ابراهيم توني مصطفى
مدرسة الفحيحيل الثانوية ــ الكويت

لا تقل ضاعت حياتي

شعر: عبد الحميد المحادين

عندما تطغى على الشمس غيوم من رماد
عندما تنهك أيامك أصقاع الحداد
عندما ينزف كفاك بأشواك حداد
عندما تطعنك الدنيا وتشفي منك صدرا
عندما يزرع أعداؤك في عينيك جمرا
لا تقل ضاعت حياتي ؛ من هنا نصنع فجرا

عندما تمشي على السفح بلا مأوى شريدا
عندما تمضغ قيداً فوق زنديك شديدا
عندما تشرب كأساً جوفها ينزو صديدا
عندما تنهش أقدامك أشواك الطريق
عندما تذهب من عينيك رنات البريق
لا تقل ضاعت حياتي ؛ من هنا أبني شروقي

عندما تشعل في صدرك غصات مريره
عندما تنقل خطواً في ممرات حقيره
عندما تجري دماء من ذرى الغيم غزيره
عندما تطبق غيلان الدجى فوق القلاع
عندما تنهار احلامك في قاع الضياع
لا تقل ضاعت حياتي ؛ من هنا خيط شراعي

عندما يستظرف التاريخ من شعب نواحه
عندما يبدو غريباً صوت من يشكو جراحه
عندما تلفي الضحايا غامرات كل ساحه
عندما لا تنبت الغابات إلا كل ذئب
عندما لا تمطر الدنيا سوى حقد ورعب
لا تقل ضاعت حياتي ؛ من هنا تبدأ دربي

عندما يبكي جميع الناس من وهم حبارى
عندما ينكر ليل أخرق القلب نهارا
عندما ينتحر الناس من الرعب سكارى
عندما يحرق صوت الليل نبضاً من ضياء
عندما تعوي وحوش همها مص الدماء
لا تقل ضاعت حياتي ؛ من هنا صغت بقائي

عندما يصبح غول الغيب في الأرض حقيقه
عندما تلتهم العنقاء من شعب طريقه
عندما يصبح عقل الأرض أوهاماً صفيقه
عندما تمتلئ الغابة عهراً وبغاءً
ولصوصاً زرعوها بخطى الحقد دماءً
لا تقل ضاعت حياتي ؛ إن فينا كبرياءً

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com